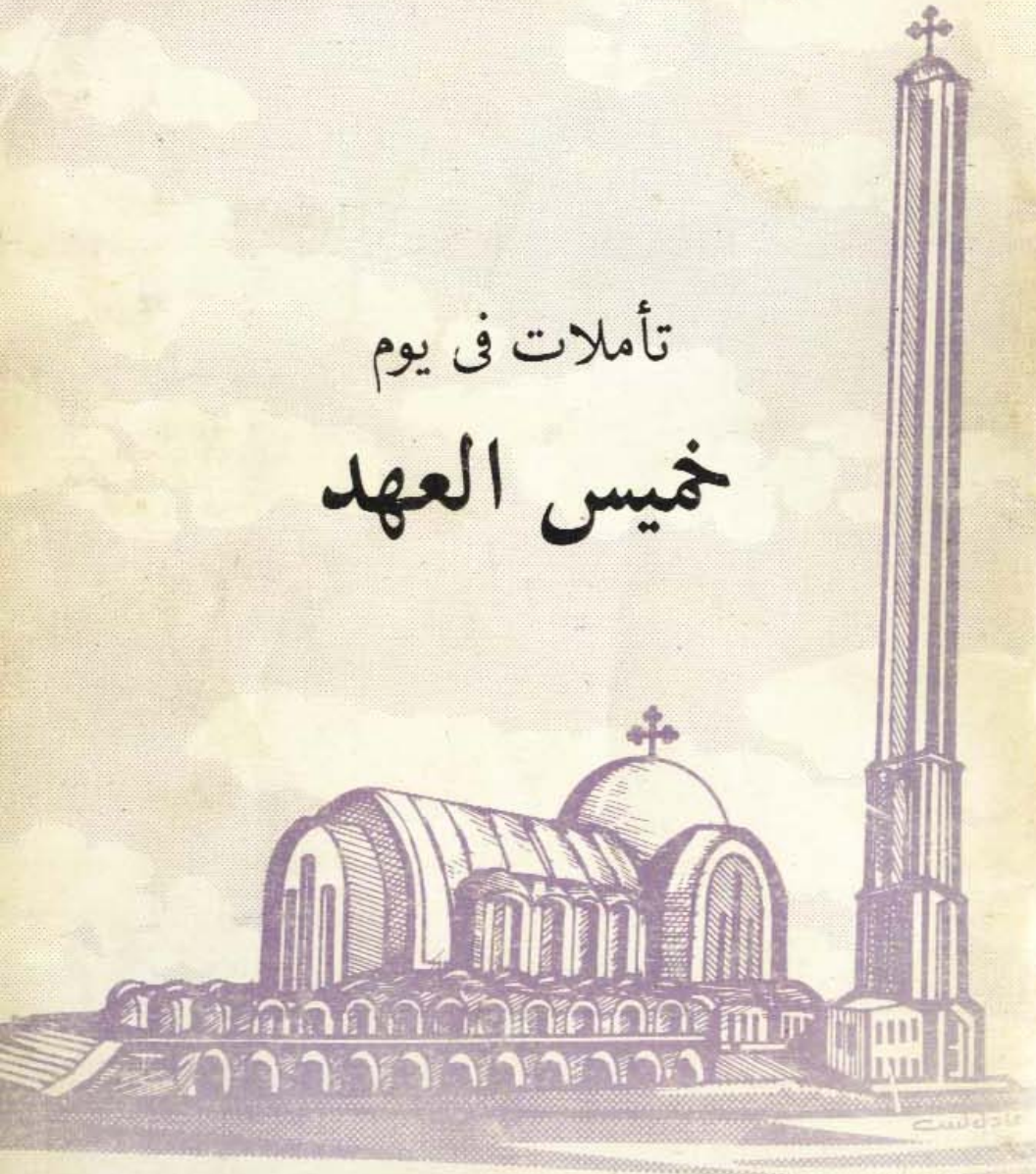


البابا شنوده الثالث

تأملات في يوم
خميس العهد



عبدالله

البابا شنوده الثالث

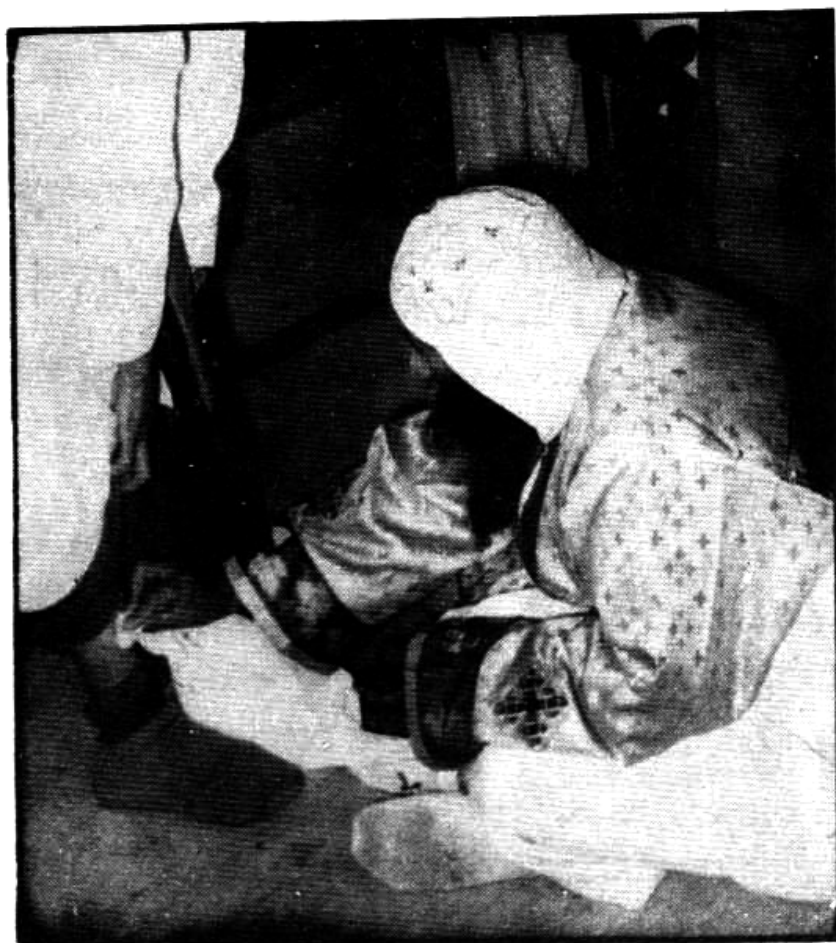
تأملات في يوم

خميس العهد

Contemplations On
The Good Thursday
by H.H. Pope Shenouda III

1 st Print
April 1982

الطبعة الأولى
إبريل ١٩٨٢



قداسة البابا شنودة الثالث

مقدمه

يوم خميس العهد من الأيام الهامة جداً في الكنيسة .
وأهم أحداث هذا اليوم العظيم ثلاثة أمور .

١ - غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه ...
وتحتفل الكنيسة بهذا الحدث الهام ، بصلاة اللقان . ثم يغسل رئيس
الكهنة ، أو الكاهن الخديم ، أرجل الشعب .

٢ - تأسيس السيد المسيح لسر الإفخارستيا :
وتحتفل الكنيسة به ، بأن تقيم القديس الإلهي لأول مرة خلال
البصخة . ويتناول غالبية الشعب عادة ، مستعدين لذلك بالتوبة
والإعتراف .

٣ - إهتمام الرب بتلاميذه ، وخطابه الوداعي لهم ، وصلاته
لأجلهم .

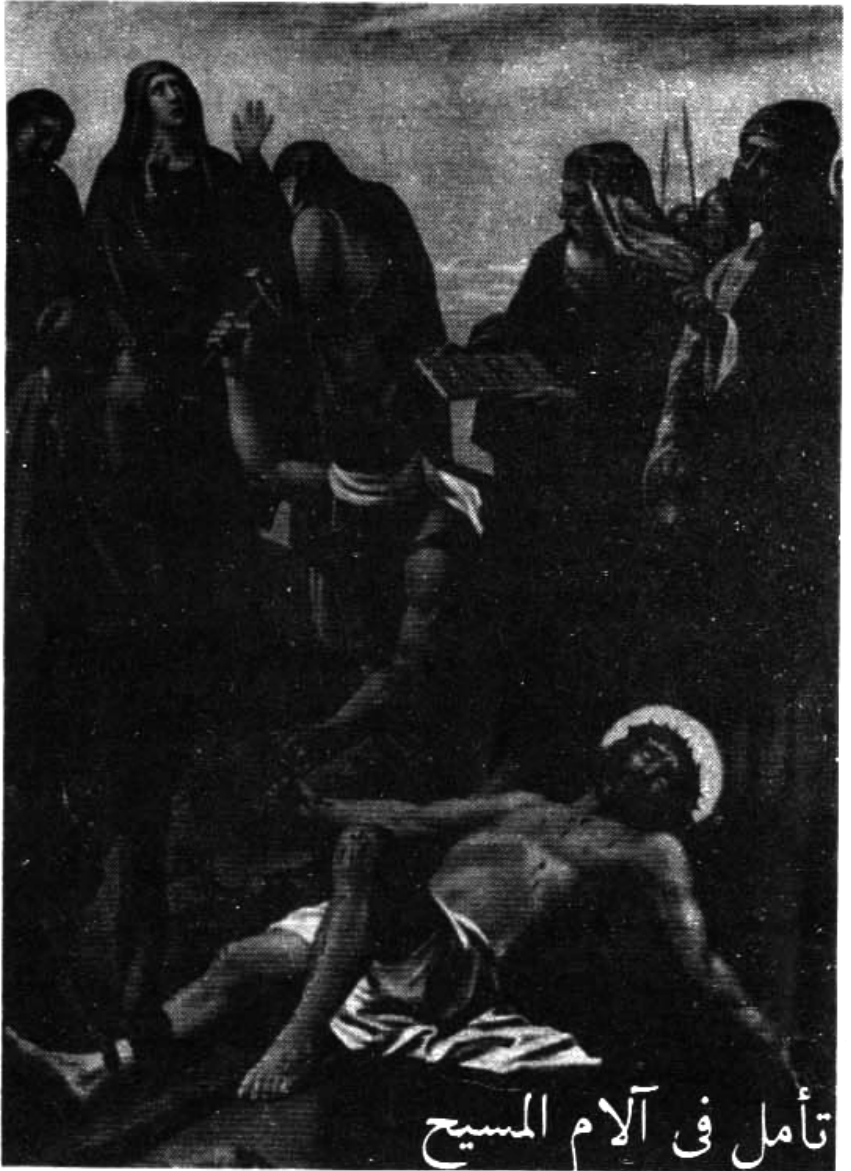
وفي هذا الكتيب نقدم لك عظات عن هذه الموضوعات الثلاثة ألقيت
في الكاتدرائية الكبرى خلال السنوات من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩ .

ونرجو في المستقبل ، إن أحيانا الرب وعشنا ، أن نجمع لك في مجلد
كبير كل ما ألقيناه من عظات في أسبوع الآلام ، راجين لكم بصخة
مقدسة ،،،

شنوده الثالث

فهرست

- صفحة
- ٥ مقدمة
- ٦ فهرست
- ٧ * تأمل في آلام المسيح
من محاضرة ألقى في أواخر الستينات ونشرت في كتابنا (المسيح المتألم) في
إبريل ١٩٧٠ ، وقد نفذت طبعته .
- ٢٣ * عظة عن اللقان
ألقى بالكاتدرائية المرقسية الكبرى يوم خميس العهد ١٩٧٨ .
- ٣٩ * التوبة والتناول
عظة بمناسبة يوم الخميس الكبير وتأسيس سر الإفخارستيا .
- ٥٥ * إهتمام الرب بتلاميذه
محاضرة ألقى بالكاتدرائية المرقسية الكبرى مساء الخميس ١٩٧٩/٤/٢٠ .
- ٦٣ * جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه
من عظة ألقى في كنيسة مارجرجس بالجيزة يوم ١٩٧١/٤/٣ .



تأمل في آلام المسيح

البعض يتكلم عن أسبوع الآلام ، كما لو كانت آلام المسيح محصورة في هذا الأسبوع ! أو كما لو كانت آلامه قاصرة على الصلب ، أو على الآلام السابقة للصليب ، مثل الجلد والضرب وحمل الصليب ، والبصاق والإهانة والإستهزاء وعبارات التحدى الجارحة وشهادة الزور...

كلا ، فإن الأم شمل حياة المسيح كلها .

لم يكن ألمه مجرد أسبوع ، وإنما كان طوال فترة خدمته وقبلها أيضاً ، ومنذ ميلاده . بل أن الوحي الإلهي قد لخص حياة الرب بالجدس ، في تلك العبارة العميقة المركزة ، التي وصفه فيها بأنه :

« رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

وقيل عنه أيضاً أنه « تألم مجرباً » (عب ٢ : ١٨) . وأصبح عمق الحياة الروحية هو أن « نتألم معه » (رو ٨ : ١٧) أو ندخل في « شركة آلامه » (في ٣ : ١٠) . فكل ألم من أجل البر ، يعتبر شركة في آلام المسيح .

وقيل عن المسيح إنه حزن واكتأب وبكى .

قيل إنه حزن واكتأب (مر ١٤ : ٣٣) . وقد قال في البستان « نفسي حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٨) . ويكنى ما قيل في أحزانه إن « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) أي أن كل أحزان البشرية وأوجاعها قد وضعت على كتفيه ، وصارت مشاعر في قلبه ...

وقد ورد في الإنجيل أكثر من مرة إنه بكى . لقد بكى على اورشليم (لوقا : ١٩ : ٤١) وهو يذكر ما سيصيها من أعدائها ، وبكى عليها أيضاً لأنها لم تعرف زمان افتقادها .

وكذلك بكى عند قبر لعازر ، الذي قالت عنه اخته أنه قد أنتن لأن له أربعة أيام (يوحنا : ١١ : ٣٥ ، ٣٩) . بكى وهويرى كيف أنه بالخطية دخل الموت إلى العالم ، وملك على الإنسان الذي خلق على صورة الله ... وأصبح ممكناً أن هذا الإنسان ينتن ... !

ذاق المسيح الألم ، حتى من يوم مولده .

ولد في يوم من أشد أيام الشتاء برودة ، في مكان رطب هومزود بقرة ، إذ لم يكن لأمه موضع في البيت (لوقا : ٧) .

وبذل هيرودس كل جهده وحيلته ليقتله ، حتى أنه قتل كل أطفال بيت لحم ، لعله يكون من بينهم ! واضطرت العذراء أن تهرب به إلى مصر . ثم عادت « بعد أن مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي » (متى : ٢ : ٢٠) . وقضى المسيح فترة صباه وشبابه مجهولاً ، في بيت نجار فقير دعى أباً له ، فلم يعرف العالم عن هذه الفترة شيئاً .

وعاش المسيح فقيراً ، يتحمل الضيق لأجلنا .

لم يمش مطلقاً في الطريق الرطب ، بل عاش حياة كلها ألم ، سواء من جهة الجسد ، أو من جهة النفس .

لم يكن له بيت يسند فيه رأسه . ولم يكن له مال ، حتى عندما طلبت منه الجزية ، لم يكن له ما يعطيه .

جرب التعب ، وجرب أيضاً الجوع والعطش .

وكمثال لتعبه ، قيل إنه تعب من مشقة وطول الطريق ، وقد مشى مسافات طويلة لكي يخلص المرأة السامرية . وقال الكتاب في ذلك « فإذ كان يسوع قد تعب هكذا من السفر، جلس على البئر . وكان نحو الساعة السادسة (في الظهر تماماً) (يوه : ٦) .

وكما جرب المسيح التعب ، جرب الجوع . وحينما نقول الجوع ، لا نقصد الجوع العادي ، كأن يتأخر إنسان ساعة عن موعد أكله ، فيقال إنه جاع ! كلا ، بل حينما قيل عن المسيح أنه جاع على الجبل ، كان المقصود آخر ما يمكن أن تحتمله الطاقة البشرية في الإمتناع عن الأكل . لذلك حسناً قيل إنه « جاع أخيراً » (مت ٤ : ٢) أخيراً ، بعد صوم إستمر أربعين يوماً .

ولما قيل إنه عطش على الصليب ، كان المقصود به عطشاً لا يحتمل ، بعد أن تصفى تقريباً ما في جسده من دم ومن ماء ...

أما عطشه وجوعه عند بئر السامرة ، فلم يقل الكتاب وقتذاك أنه شرب ماء . ومن جهة الطعام ، لم يأكل وقال « طعامي أن أفعل مشيئة الذي أرسلني » (يوه : ٤ : ٣٤) . ولم يقل الكتاب في تلك المناسبة إنه جاع أو عطش . إنه جوع عادي ، وعطش عادي ، يعبر الكتاب عنها ...

وفي خدمة المسيح ، جابه ألماً آخر ، هو ألم الرفض :

إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله « (يوه : ١ : ١١) كان نوراً للعالم ، وهذا النور أضاء في الظلمة ، والظلمة لم تتركه » (يوه : ١ : ٥) . إنه أمر مؤلم

حقاً ، أن النور جاء إلى العالم ، ولكن أحب الناس الظلمة أكثر من النور ، لأن أعمالهم كانت شريفة (يوحنا : ١٩ : ٣) . وتحققت في الرب نبوءة المزمور « رفضوني أنا الحبيب مثل الميت المردول » (مز : ٣٧ : ٢) .

عاش يعامل الناس بالحب ، ولا يجد حياً مقابل حبه .
لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة للناس . والعبارة التي قيلت عنه إنه لم يجد موضعاً يسند فيه رأسه (مت : ٨ : ٢٠) ، كما نفهمها من الناحية المادية، الحرفية ، نفهمها أيضاً من الناحية العاطفية كذلك . فقد عاش الرب وسط أشخاص جاحدين ، ناكرين للجميل ، ناكرين للحب .

ذهب مرة إلى بلده بيت لحم ، فرفض أهلها أن يقبلوه .
لم يؤمنوا به ، بل قابلوه باستهزاء وباحتقار قائلين « أليس هذا هو ابن النجار؟! من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟! فكانوا يُعثرون به » (مت : ١٣ : ٥٤-٥٨) حتى قال لهم الرب : ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته ...

وذهب إلى أحد قرى السامرة ، فأغلقت أبوابها في وجهه .
حتى غضب تلميذه لهذا الأمر ، أما هو فاحتمل السامرة بحب كبير وصبر طويل إلى أن تمكن من دخولها فيما بعد والعمل على خلاصها . ولما رأى ثمار تعبها في السامرة ، قال لتلاميذه : أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه (يوحنا : ٤ : ٣٨) . نعم إن العمل على خلاص النفس يحتاج إلى

تعب وإلى احتمال ...

أحياناً كان يرى أبواب القلوب مغلقة ، فيقف ويقرع ...

وقد يطول به الوقوف ، حتى يمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى الليل (نش ٥ : ٢) . وهو لا يمل الانتظار ، ولا ينجل منه ...

والرب بهذا يعطينا درساً أن كسب محبة الناس يحتاج منا إلى احتمال وطول بال . فأحياناً تكون القلوب صلبة وشديدة ، ولا يمكن دخولها بسرعة ولا بسهولة ... فإن تعبت في دخول قلوب الناس ، فلا تتضايق . هكذا حدث للمسيح منبوع الحب . وإن دخلت قلباً ، ولم تجد فيه محبة مثل محبتك ، فلا تحزن . فهكذا حدث للمسيح قبلاً ، ولم يعامل الناس بمثل معاملتهم .

بل كان وسط الكل « يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) .

« يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب » (مت ٤ : ٢٣) من من الناس لم يأخذ من محبة المسيح ومن تعبته؟! الكل أخذوا ... حتى الذين رفضوه ، حتى الذين صاحوا فيما بعد اصلبه اصلبه ...

كان يوزع محبته على الكل ، فيلاق إنتقاداً من معلمى الشعب .

إن اشفق على عشائر لكى يخلص نفسه ، انتقدوه قائلين « إنه دخل لبييت عند رجل خاطيء » (لوقا ١٩ : ٧) ، فيجيب المسيح : اليوم حصل خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم .



ويحتمل الرب هؤلاء المنتقدين ، ويعمل على اقناعهم ليكسبهم .
كم من مرة فعل خيراً ، فانتقدوه على فعل الخير ، من زاوية معينة ،
كما حدث في الحب الذي بذله نحو العشارين ليخلصهم . أو نحو
السامريين المرذولين منهم ... وأضطر أن يقول لهم مثل الفريسي والعشار
(لو ١٨ : ٩-١٤) ومثل السامري الصالح (لو ١٠ : ٣٠-٣٥) .

وبالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها ،
فانتقدته سمعان الفريسي قائلاً في قلبه « لو كان هذا الإنسان نبياً ، لعلم
من هذه المرأة وما حالها ، إنها لخاطئة » (لو ٧ : ٣٩) . فشرح لهذا
الفريسي كيف أن الذي يغفر له الكثير يجب كثيراً .
وبنفس القلب الشفوق الحنون الطيب ، أشفق على المرأة الزانية التي
ضبطت في ذات الفعل ، وأنقذها من القساة المشتكين عليها طالبين
رجمها ، وهم يعرفون شفقتة على الخاطئة ، إنما فعلوا ذلك « ليجربوه ، لكي
يكون لهم ما يشتكون به عليه » (يو ٨ : ٦) .

عجيب أن هذا القدوس ، قوبل من قادة الدين في عصره
بسلسلة من الشتائم والاتهامات .

سلسلة من شتائم وإتهامات

قالوا له « أليس حسناً قلنا إنك سامري وبك شيطان » (يو ٨ :
٤٨) . ياللعجب أن يقال عن رب المجد ، الذي يخرج الشياطين

و يطردهم ، إن به شيطاناً ! يقولون له « بك شيطان » ! و يظن المجدفون بهذا أنهم « حسناً قالوا » !

فلا تتعب يا أخى إن قيلت عنك كلمة رديئة ربما أقل من هذه . فالسيح قد قيل عنه إنه سامرى وبه شيطان . والعجيب أن الرب لما سمع هذه الالهانة ، رد بهدوء عجيب وبدون إنفعال .

ما هذا يارب ؟ قل أن ينزل نار من السماء وتفنيم . هذا جتس لا تنفع معه الطيبة . أضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يجيب : ليس هذا هو اسلوبى . سأتركهم الآن فى حدتهم . وبعد حين سيعقلون و يتوبون ، و ينظرون إلى الذى طعنوه وجرحوه ، و يندمون .
ما أكثر ما أحتمل الرب من إنتقادات وإتهامات .

بل أن كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون أن يغلظوا مجدها بشتائمهم وإنتقاداتهم وإتهاماتهم .

كان يخرج الشاطين من المصروعين ، فيقولون « ببعلز بول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مت ١٢ : ٢٤) كما لو كان الرب من جند الشيطان !

و يفتح عيني المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث لها مثيل من قبل . فبدلاً من أن يؤمن أولئك المعاندون به ، نراهم يقولون عنه « هذا الإنسان ليس من الله » . و يقابلون الأعمى الذى أبصر ، و يضغطون عليه قائلين « أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطيء ... » (يوحنا : ٩)

١٦-٢٤). فلما دافع الأعمى الذى أبصر عن المسيح « شتموه قائلين أنت تلميذ ذلك » كما لو كانت التلمذة للمسيح تهمة وعاراً !!

باللعجب ! يوصف الرب بأنه ساهرى ، وبه شيطان ، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين . ويوصف بأنه خاطيء ، وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار... وماذا أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً إنه كاسر للسبت (يو ٩ : ١٦) .

وقالوا إنه « أكول وشريب خمر » (لو ٧ : ٢٤) .

وقالوا إنه « محب للعشارين والخطاة » (مت ١١ : ١٩) .

وماذا قالوا عنه أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً أنه « مجدف » و« يتكلم بتجاديف » ... !

(مت ٩ : ٣) .

ورفعوا حجارة ليرجموه (يو ٨ : ٥٩) محاولين رجمه أكثر من مرة (يو ١٠ :

٣١) . وعملوا محاولتهم ليرجمه بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ،

بل لأجل تجديف » (يو ١٠ : ٣٣) . وعندما حكم عليه رئيس الكهنة

بحكم الموت ، كان الحكم لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف ... ! مزق

رئيس الكهنة ثيابه قائلاً « قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد

سمعتم تجديفه » (مت ٢٦ : ٦٥) .

إنه مذهل حقاً ، أن رئيس الإيمان ومكمله ، المعلم الصالح المدخرة فيه

كفى كنوز العلم والمعرفة ، يدعى مجدفاً ، وهو « حكمة الله وقوة الله »

(١ كور ٢٤ : ٢٤) ...

واتهموه أيضاً بتهم سياسية . فقالوا إنه ضد قيصر ، وأنه « يبيع الشعب » وأنه « يفسد الأمة » (لوقا : ٢٣ : ٢٥) .

هؤلاء الذين أردوا المسيح ملكاً عليهم ، يخلصهم من حكم قيصر ، بل أرادوا أن يختطونه ليجعلوه ملكاً (يوحنا : ٦ : ١٥) ، هؤلاء لما رفض المسيح هذا الملك الأرضي ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا : ١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية في قلوب الناس ، وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر !!

« وابتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، ويمنع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلاً إنه مسيح ملك » (لوقا : ٢٣ : ٢) !!
بالعجب ، يلفقون هذه التهمة ، ولا ينجحون من عبارته المشهورة « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مزمور : ١٢ : ١٧) .

وإذا بهؤلاء الشائرين على قيصر ، الطالبين ملكاً يخلصهم منه ، يتمسحون الآن في قيصر ، بصفر نفس ، وبالسدس والوقية ، مقدمين المسيح كمتهم بهذه التهمة . وصمت المسيح لأنه « حمل خطايانا » ... ولم يكتفوا بتهمة التجديف وبالتهمة السياسية ، بل أيضاً .

اتهموه بأنه مضل ، حتى بعد موته على الصليب لأجلهم ، ولأجل العالم كله . فذهبوا إلى بيلاطس ، وقالوا له « يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال بعد وهو حى ، إنى بعد ثلاثة أيام أقوم فربضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لثلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشد من الأولى » (متى : ٢٧ :

. (٦٤، ٦٣)

وهكذا وصفوه بأنه مذل ، وبأن تلاميذه مثله ، سيقودون الشعب إلى ضلالة أشر...!

هذا هو المسيح الذى «أحصى مع الأئمة» ...
والذى قابل الموت «محتقراً ومخذولاً من الناس» (أش ٥٣ :
١٢).

حقاً إن السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه ، فتمت الكلمة المكتوبة فى ناموسهم «أبغضونى بلا سبب» (مز ٦٩ : ٤) (يو ١٥ :
٢٥).

هذا هو المسيح الذى قدموه كثائر ، ثائر على المجتمع يريد أن يغير عوائده وتقاليده ، وثائر على الدين يقول إنه سيهدم الهيكل وبينيه فى ثلاثة أيام ، وثائر أيضاً على قيصر ، يمنع أن تدفع جزية له ... هذا الوديع للذى لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ...

هذا هو المسيح ، الذى أبغضه الكثيرين .

فقام ضده الكتبة والفريسيون والصدوقيون والناموسيون ، والشيخ والكهنة ورؤساء الشعب ... وكانوا يحاولون فى كل مناسبة أن «يصطادوه بكلمة» (مت ٢٢ : ١٥) (مر ١٢ : ١٣) .

وهكذا تعرض كل يوم للمقاومين والمعاندين ، الذين يحاولون أن يشيعوا عنه باستمرار كلمة ردية ... قاموا على الرب وعلى مسيحه وهم يقولون : لنقطع أغلالهما ، ولنطرح عنا نيرهما (مز ٢) .

إننا عندما نرى آلام السيد المسيح ، نتعزى في الآمانا .
وعندما نرى آلامه ، نتبكت في داخلنا ، لأننا سبب آلامه ...

كثيرون يجزون على آلام المسيح ، وهوير يدون آلامه بأفعالهم وفي
كل يوم يضيفون إلى المسيح ألماً جديداً ...
وكثيرون يرون صورة المسيح المصلوب ، فييكون ويتألمون في قلوبهم ،
بينما هم يصلبون المسيح كل يوم ...

إن أردنا حقاً أن نحفف من آلام المسيح ، علينا أن نتوب ، لأننا بذلك
لا نحزن قلبه بخطية جديدة ، ولا نضع قطرة جديدة في كأس آلامه بسبب
خطايانا . فلنترك الخطية إذن ، لنفرح قلب الله .

لكن توبتنا مخلوطة بمحبة المسيح المصلوب عنا .

كثيرون يبتعدون عن الخطية ، خوفاً من جهنم والعقاب الأبدى .
ولكن ليتنا نترك الخطية ، لأنها تؤلم المسيح ، وتجرح قلبه المحب ، وليس
لمجرد خوفنا من فقد الملكوت ، أو حرصاً على أنفسنا .

لا تكن توبتنا مركزة في ذاتنا ، نقاوتها ومصيرها ، بل الحرى فلنركز
مشاعرنا في الله الذى أحبنا ، والذى يعتبرها خيانة منا ، أن نقابل محبته
بالجمود ، ونضيف إليه بأخطائنا آلاماً أخرى .

ولنطلب من الرب أن يعيننا على أن نحيا في البر ، حتى لا تؤلم قلبه
الذى لم يؤلم أحداً ، قلبه المملوء حباً لنا ، واشفاقاً علينا ، حتى ونحن
خطية .

المسيح في آلامه عن خطايانا ، كان يشفق ولا يدين .
الدينونة لها وقت آخر في مجيئه الثاني . أما في فترة آلامه ، فقد وضع
أمامنا حقيقة معزية وهي : « لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم »
(يو ١٢ : ٤٧) ...

والأمر الذي يدعو إلى الإعجاب حقاً في آلام المسيح :
إن كل أخطاء الناس ، لم تغير إطلاقاً من محبته لهم .
كل خيانتهم ورفضهم ، وكل ما حاكوه حوله من دسائس ، وما لفقوه
حوله من تهم وأكاذيب ، بل وكل اعتداءاتهم من ضرب ولطم واستهزاء ...
كل ذلك لم يهز محبته العظمى التي لا تحدد ...

ظل كما هو القلب الكبير ، الذي يسع الكل ... يسع ضعفات أحبائه ،
ويسع خيانة الشعب الذي أحسن هو إليه . هذا القلب الكبير الذي صلى
لأجل صالبيه قائلاً : « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »
(لو ٢٣ : ٣٤) .

حقاً إن محبة المسيح كانت أقوى بكثير جداً من آلامه ...

والمذهل أيضاً في آلامه ، أنها كانت سبباً لسروره ...

يقول معلمنا بولس الرسول « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله
يسوع ، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً
بالخزى » (عب ١٢ : ٢) .

لقد وجد السيد المسيح سروراً في تحمل الآلام ، من أجل فرحه

بخلاصنا ، لذلك إستهان بالخرى . ولم يتألم عنا متضجراً إنما فرحاً ، بسبب محبته الكبيرة لنا ، ومحبته للآب وإرضائه . فكان في صلبه « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا ١١ : ٩) .

لقد أعطانا المسيح خلاصاً . والمعطى بسرور يحبه الرب .
كان يعطى حياته فداء عن العالم . وكان عطاؤه ممزوجاً بمحبته ، وكان عطاء بسرور ، من أجل الخلاص العظيم وإتمامه ...
والجميل في آلام المسيح أيضاً ، أنه قدّس الأُم ...
الأُم جاء نتيجة للخطية ، دخل العالم في أثرها ... كما دخل في أثرها أيضاً الموت .

وقد أراد المسيح أن يخلصنا من كليهما ، من الأُم والموت . فإذا به بالموت قد داس الموت . وإذا بالأُم قد قدّس الأُم ، وحوله إلى علامة حب ، وعلامة طاعة .
طاعة للآب ... وحب للبشر .

ونحن كلما ننظر إلى المسيح المتألم ، إنما نذكر حبه ، ونذكر تقديسه للأُم ، وقدسية آلام كل الذين احتملوا من أجله ، كالشهداء والمعترفين ، وكل من حملوا الصليب في حياتهم .

وإذ نحب الأُم وقدسيته ، ندخل في شركة آلام المسيح ...
كما قال القديس بولس الرسول « لأعرفه ، وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، مشتبهاً بموته » (في ٣ : ١٠) .

كيف ندخل في شركة آلام المسيح ؟

هذا موضوع طويل ، موعدنا فيه محاضرة أخرى ، إن أحببت نعمة الرب وعشنا .

أما الآن فلنستمر في تأملاتنا في آلام المسيح لأجلنا . وكيف أنه في عمق آلامه كان يعمل لأجلنا ، مهتماً بنا .

وفي يوم الخميس الكبير ، وهو عالم أن ساعته قد جاءت (يوحنا ١٣ : ١)
قدم لنا عمليين من أعمال محبته هما :

- تقديم جسده ودمه لنا ، لأجل أن نثبت فيه .
- وقبل ذلك غسل أرجلنا ، رمز لتطهيرنا قبل تناول .

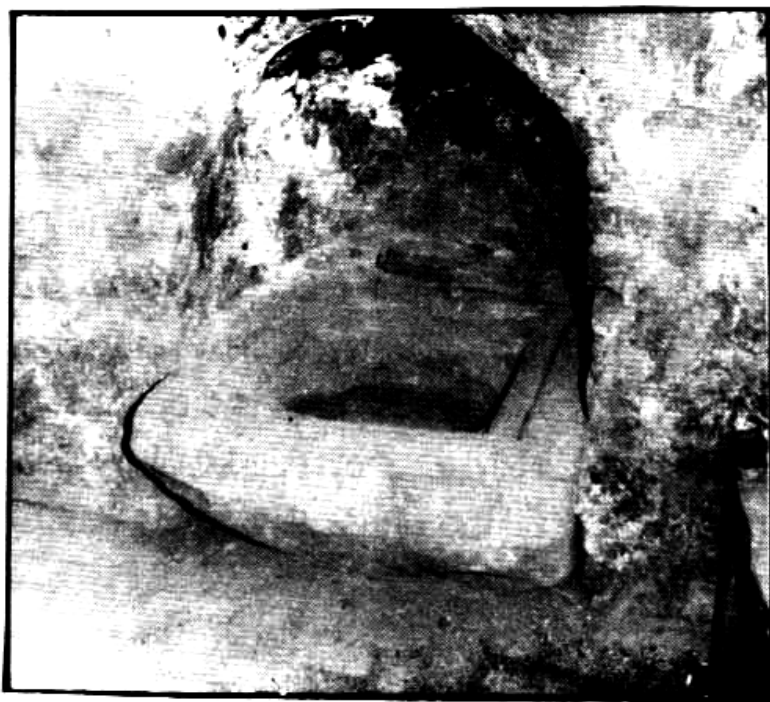
فلنأخذ هذين الموضوعين مجالاً للتأمل في محبة الرب لنا ، أثناء آلامه

عنا ...



عظة عن اللقان يوم خميس العهد

« قام عن العشاء ، وخلع ثيابه ، وأخذ منشفة
واتزر بها . ثم صب ماء في مغل ، وابتدأ
يفسل أرجل التلاميذ ومسحها بالمنشفة »
(يو ١٣ : ٤ ، ٥) .



دروس روحية من الماء :

لقد غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه يوم الخميس الكبير ،
وغسلها قبل تناول ، قبل أن يمنحهم السرائر المقدسة ،
وقال لهم بعد غسل أرجلهم ، ها أنتم طاهرون ...

لعله أراد أن يعطينا درساً عن الطهارة قبل تناول ،
فيتقدم الإنسان إلى الأضرار المقدسة وهو طاهر ...
أو لعله يعطينا درساً آخر ، أن الطهارة منحة من عنده . هو الذى
يمنحنا إياها ، هو يغسلنا فنطهر .
ونلاحظ أنه غسل أرجل التلاميذ ، دون أن يطلبوا ذلك ، كما منحنا
الفداء العظيم دون أن نطلب ...

أو لعله أراد أن يعطينا درساً فى التواضع ...
فى التواضع ، إذ كيف ينحنى المعلم العظيم ليغسل أرجل تلاميذه ،
وكيف ينحنى الرب نفسه ليغسل أرجل صنعة يديه .
ولكى يوضح هذا الدرس ، قال لهم بعد غسل أرجلهم :
« أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً
تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت - وأنا السيد والمعلم - قد غسلت
أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى

أعطيتكم مثالاً ، حتى كما صنعت بكم تصنعون أنتم أيضاً»
(يوحنا ١٣ : ١٢ - ١٥) .

أو لعل الرب أعطانا بغسل الأرجل درساً في المحبة ...

فهو من محبته لتلاميذه ، منحهم هذه الطهارة ، كي يمنحهم بنفس المحبة جسده ودمه . ولذلك قيل عنه قبل غسله لأرجل تلاميذه « إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى ... » (يوحنا ١٣ : ١) .

ولعل في الماء دروساً أخرى ، علينا أن نتأملها اليوم :

وأظن أنه من النافع لنا ، أن نأخذ فكرة عن هذا الماء الذي سنغسل به أرجلنا اليوم بعد طقس صلاة اللقان ...

ما هو الماء في الكتاب المقدس ؟ وما مدى علاقتنا به ؟
الماء في الكتاب المقدس له على الأقل ثلاثة رموز أو ثلاثة معانٍ . نود أن نتكلم عنها ، ثم نتابع تأملاتنا فيه :

الماء يرمز إلى النقاوة والتطهير ...

ويرمز إلى الحياة ...

ويرمز إلى عمل الروح القدس ،

أو إلى الروح القدس نفسه ...

١ - الماء وعمل التطهير :

عمل التطهير واضح جداً من فصل إنجيل اليوم في غسل السيد لأرجل تلاميذه . وتوجد أمثلة أخرى كثيرة في الكتاب المقدس .
ولعلنا نذكر أنه كانت توجد مرحضة في خيمة الإجتماع ، بين الخيمة والمذبح ، وفي المرحضة ماء « فيغسل هرون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها ... عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ... فرضة أبدية له ولنسله في أجيالهم » (خر ٣٠ : ١٨-٢١) .

الإغتسال أولاً . الطهارة أولاً ، قبل التقدم إلى المذبح والذبيحة .

ومثال الإغتسال في خيمة الإجتماع ، يقابله أيضاً الإغتسال في الأردن ، وفي بركة سلوام ، وفي بركة بيت حسدا ...

هنا ونقف وقفة تأمل أمام قصة تطهير نعمان السرياني .
كان هذا الرجل أبرص . والبصر كان نجاسة ، وكان يرمز إلى الخطية ، ويحتاج إلى تطهير . فكيف تم تطهير نعمان من برصه ؟ أمره أليشع النبي أن يغتسل في نهر الأردن ليبراً (٢ مل ٥ : ١٠) . ونهر الأردن يذكّرنا بمعمودية يوحنا ، حيث كان اليهود يأتون إليه ، و يغتسلون في الأردن و ينالون مغفرة خطاياهم ، فيطهرون روحياً ...

أنخرج من هذا بأن ماء الطهارة أيضاً له رمز إلى المعمودية ؟

قصة أخرى يقدمها الكتاب ، وهي شفاء مريض بيت حسدا .
كان فيها أيضاً الشفاء مرتبطاً بالماء . وما أجل قول الكتاب في تلك
القصة إن ملاكاً كان ينزل إلى البركة ويحرك الماء (يوحنا : ٤) . ويتم
الشفاء لمن ينزل إلى البركة بعد تحريك الماء . فالملاك إذن كان
يتحركه الماء ، يعطى الماء فاعلية وقوة .

يذكرني هذا بالأب الكاهن ، عندما يمسك صليبه ، ويحرك به الماء في
جرن المعمودية ، أو في اللقان ، وهو يرشم هذا الماء ، ويعطيه قوة
وفاعلية ...

أذكر أيضاً بركة سلوام ، التي أرسل إليها السيد المسيح رجلاً مولوداً
أعمى ، لكي يغتسل من مائها ، فيبرأ ويستنير ويبصر (يوحنا : ٩ : ٧) .

يمكن أن نضم الدموع أيضاً إلى موضوع الماء ...

فالدموع ماء ، يحدث به تطهير للنفس وشفاء للروح ، كما حدث من
ماء بركة سلوام ، و بركة بيت حسدا .

في قصة المرأة الخاطئة التي علمت أن السيد المسيح متكئ في بيت
الفريسي ، فأخذت قارورة طيب كثير الثمن ، ووقفت عند قدمي المسيح
باكية ، وكانت تبلل قدميه بدموعها وتدهنها بالطيب (لوقا : ٧ : ٣٨) .

**صدقوني لست أعلم : أيها كان أطيب رائحة ، الطيب أم دموع
هذه الثابتة؟! بلا شك الدموع كانت صاحبة الفاعلية ...**

كانت دموع هذه المرأة طيباً من نوع غالى الثمن جداً . والسيد الرب طوّب هذا الطيب الجديد الذى تبللت به قدماه .

إذن الماء مرتبط بالتطهير ، حتى ماء العيون ، حينما يحركه ملاك ترسله النعمة . هنا وتذكر قول المزمور (مز ٥٠) : إنضح علىّ بزوفاك فأطهر . وماذا أيضاً ؟ يقول المرتل :

« إغسلنى ، فأبيض أكثر من الثلج » ...

والغسيل فى المسيحية بطريقتين : المعمودية ، والتوبة .

ونرى أن الخاطئة يهوذا ، التى وردت قصة تطهيرها فى الأصحاح ١٦ من سفر حزقيال النبى ، قال لها الرب « وجدتك مدوسة بدمك ... فحمتك بالماء ، ودهنتك بالزيت » . الماء هنا يرمز إلى ماء المعمودية الذى يطهر به الإنسان من كل خطاياها السابقة الجدية والفعلية . والزيت يرمز إلى زيت الميرون الذى يعطى الروح القدس ، ولكن بعد الماء ...

ولقد ظل الماء رمزاً للتطهير ، حتى أن الكاهن قبل أن يبدأ القداس ، يغسل يديه بالماء ثلاث مرات ، و يقول فيها :

« أغسل يدي بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » (مز ٢٥) .

لا يقول « أغسل يدي بالماء » إنما « أغسل يدي بالنقاوة » لأن غسيل الماء هنا يرمز إلى النقاوة ، كما ترمز إليها الملابس البيضاء التى يلبسها الكاهن وقت الخدمة . وكما كان يغتسل هرون وبنوه قبل تقدمهم إلى المذبح ...

ورمز الماء إلى الطهارة ، كان معروفاً حتى بين الأمم . فيبلاطس البنطى ، لكى يريح نفسه من تعب ضميره ، غسل يديه بالماء وهو يقول « أنا برىء من دم هذا البار » (مت ٢٧ : ٢٤) . طبعاً هولم يكن بريئاً ، ولكننا نذكر هنا مجرد إيمانه برمز غسيل الماء إلى الطهارة .

هنا ونود أن نطرح تأملاً بسيطاً خاصاً بماء الطوفان ...

لا ننكر أن مياه الطوفان كانت عقوبة من الله . ولكن هل يقف الأمر عند مجرد العقوبة ؟ أم كانت هذه المياه تطهيراً للأرض من الخطية والخطاة ، تطهيراً للأرض من الفساد الذى نجسها ، فغسلها الله من خطايا الإنسان ، بالماء ليطهرها ويجدها لكى تحيا مرة أخرى فى نقاوة...

إن غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه كان يرمز لتطهيرهم . ولا شك أن هذا كان لازماً فى مناسبة الفصح وعيد الفطير .

نلاحظ من قراءات الكنيسة فى طقس الخميس الكبير ، فى هذه الساعة المقدسة وماقبلها ، أن غسل الأرجل تم فى اليوم الأول من عيد الفصح وعيد الفطير .

الفطير يرمز للنقاوة والطهارة التى تليق بتناول الفصح ، بينما الخمير يرمز إلى الشر . وقد غسل السيد المسيح أرجل التلاميذ فى هذه المناسبة المقدسة ، التى جمع فيها بين عيد الفصح ، وبين تقديم نفسه فصحاً عنا .

ومعلمنا بولس الرسول أشار إلى كل هذا بقوله : لأن فصحننا أيضاً المسيح قد دُبح لأجلنا . فلنعيّد لا بخمير الخبث والشر ، بل بفطير

الإخلاص والحق (١ كوه : ٧، ٨) .

وخروف الفصح قديماً كانوا يأكلونه مع فطير (خر ١٢ : ٨) رمزاً إلى النقاوة التي تليق بالأكل من خروف الفصح . حقاً إن خروف الفصح قد خلصهم من الموت ، والملاك المهلك لما رأى الدم عبر عنهم . ولكنهم لكي يتمتعوا بذلك الخلاص لا بد أن يعيشوا في فطير دائم ترمز إليه السبعة الأيام ، أى في نقاوة كاملة . وكل نفس تستيق في بيتها خيراً في أيام الفصح (أى شراً) تقطع تلك النفس من جماعة الشعب (خر ١٢ : ١٩) .
والسيد المسيح مع الفصح غسل أرجل التلاميذ ، رمزاً للنقاوة التي يشير إليها الفطير .

وغسل الماء يرمز أيضاً إلى المعمودية ...

والكتاب المقدس يسميه غسيل أو حيم الميلاد الثاني (تى ٣ : ٦) .
في المعمودية توجد عملية تطهير من جميع الخطايا السابقة ، سواء الأصلية أو الفعلية ، عن طريق الماء والروح .
وسنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى في سياق حديثنا ...
ونكتفي الآن في مناسبة اللقان ، برمز الماء إلى عمل التطهير ، ونحن مقبلون على هذا السر العظيم ، التناول من جسد الرب ودمه ...

٢ - الماء يرمز إلى الروح القدس :

وهذا واضح من قول الرب في الإنجيل المقدس « من آمن بي - كما قال الكتاب - تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى

كان المؤمنون به مزعمين أن يقبلوه» (يو: ٧: ٣٨) .

ولأن روح الله شُبه بالماء ، لذلك فإن تلاميذ الرب المحتلين بالروح شُبهوا بالأنهار . وكذلك الأناجيل الموحى بها من الروح .

وهكذا قيل عن الكنيسة المقدسة في المزمور (مز ٢٣) « هو على البحار أسسها ، وعلى الأنهار هيأها » . وحسن ما ورد في قصة الخليقة أن أربعة أنهار كانت تروى الجنة (تك ٢ : ١٠-١٤) . ولعلها ترمز إلى الأناجيل ، التي تروى المؤمنين جميعاً ، والتي كتبت بالروح القدس « الناطق بالأنبياء » .

ولأن الماء يرمز إلى الروح ، شبه الله نفسه بالماء ، فقال « تركوني أنا ينبوع المياه الحية . لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماء » (أر: ٢: ١٣) .

وأصبح الشخص الذي يجيا حياته مرتوياً من الروح القدس ، يُشبه بشجرة مغروسة على مجارى المياه ، إنها تحيا بهذا الماء ، وبه تنمو . وبدونه تموت ... وهكذا ارتبط الماء أيضاً بالحياة ، ولقب أيضاً في الكتاب بالماء الحى .

٣ - إرتباط الماء بالحياة :

حتى الحياة الجسدية ترتبط أيضاً بالماء ، سواء كانت حياة لإنسان أو

نبات أو حيوان . وقد قيل في قصة الخليقة إن الله أخرج من الماء ذوات الأنفس الحية (تك ١ : ٢٠ ، ٢١) .

والحياة الروحية أيضاً ترتبط بالماء ...

تبدأ بالولادة من الله ، الولادة التي من فوق ، من الماء والروح (يوحنا ٣ : ٥ ، ٦) . ولماذا الماء ؟ لأن الروح القدس يعمل في الماء ، وفيه يطهر ويحى ، يعطى نقاوة وحياة .

يغتسل الإنسان في ماء المعمودية فيأخذ طهارة . يموت الإنسان العتيق ، ويحيا إنسان جديد على صورة الله . فينال الإنسان حياة ، وينجو من حكم الموت ...

هذه هي المعمودية . ولها رموز في العهد القديم أيضاً ...

قال القديس بولس الرسول « لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا ، أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتازوا في البحر ، وجميعهم ائتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كور ١٠ : ١ ، ٢) .

السحابة ماء ، والبحر ماء ، وكلاهما كان للمعمودية .

هذا الماء دخله آباؤنا شعباً مستعبداً تحت عبودية فرعون . وخرجوا منه شعباً حراً تحت قيادة الله وموسى .

هذا الشعب الهارب من العبودية ، دخل الماء والموت يجرى وراءه ، وخرج منه وقد نال حياة جديدة إنتصرت على الموت .

حدث تغيير هام في اجتياز هذا الشعب للماء ...

وكانت السحابة تظللمهم باستمرار ، لأنهم كانوا يعيشون في ظل هذا الماء الحى ، أو الماء المحيى ، طول مدة غربتهم فى البرية التى ترمز إلى غربه هذا العالم الحاضر .

إن السيد المسيح يدعونا إلى مائه ويقول :

إن عطش أحد ، فليقبل إلىّ ويشرب « (يو: ٧: ٣٧) .

وقد دعا المرأة السامرية إلى مائه الحى ، وقال لها « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يو: ٤: ١٤) .

داود النبى يسميه فى مزمور الراعى « ماء الراحة » .

فيقول عن الله الراعى « إلى ماء الراحة يوردنى » أى إلى الماء الحى ، ماء الروح القدس . وما نتيجة هذا ؟ يقول « يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر » . هذا هو بلا شك عمل الروح فى الإنسان .

يقوده فى الحياة الروحية وفى التوبة ... ويعطيه الفرح ...

الفرح بالخلاص ، أو كما يسميها المرتل « بهجة خلاصك » (مز: ٥٠) .

ويقول المزمور « مجارى الأنهار تفرح مدينة الله » (مز ٤٥) .

إنه الفرح الروحى ، أحد ثمار الروح القدس (غل ٥: ٢٢) .

هذه المياه التى تفرح مدينة الله تذكرنا بحقيقة أخرى عن الماء ،

نتذكرها ونحن نتقدم للقداس الإلهي للتناول ، بعد غسل أرجلنا بالماء .
هذه الحقيقة تعبر عنها كلمتان هما :

الماء والدم :

عندما طعن السيد المسيح بالحربة ، خرج من جنبه دم وماء
(يوحنا : ١٩ : ٣٤) . وقد شهد القديس يوحنا الحبيب بهذه الحقيقة في رسالته
الأولى (٤ : ٦) وقال أيضاً « والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة :
الروح والماء والدم . والثلاثة هم في الواحد » (١ يوحنا : ٤ : ٨) .
ما أعجب هذه الآية في موضوع خلاصنا . فما سرها ومعناها ؟

معناها أن الخلاص الذي قدمه المسيح بالدم ، على الصليب ،
تناه أنت بالماء والروح في المعمودية ..

و يشهد خلاصك هؤلاء الثلاثة : الروح والماء والدم .
بدون الدم لا حياة ، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة
(عب ٩ : ٢٢) . ولكن كيف تنال هذا الخلاص المقدم لك بالدم ؟ يقول
السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . وفي المعمودية
يولد من الماء والروح (يوحنا : ٣ : ٥) ، و ينال مغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .

والماء والدم ، نراهما أيضاً في سر الإفخارستيا ...
حيث أن الكاهن في صلاة القداس الإلهي يمزج الخمر بالماء . ويقول
في صلوات القداس « وكذا الكأس بعد العشاء ، مزجها من خمر

وماء ... » . وهذا الدم الذى نتناوله ممزوجا بالماء ، ننال الحياة . ونرى فى كل منها علاقة بالحياة ، فى الدم وفى الماء .

ولكن قبل تذكارات هذا التناول أود أن أختم بكلمة عن اللقان عن غسل الأرجل ...

لماذا غسل الأرجل ؟

السيد المسيح غسل أرجل تلاميذه . فلماذا غسل الأرجل بالذات ؟ بالإضافة إلى ما يمكن أن نقوله عن الإلتضاع فى غسل الأرجل ، أود أن أذكر تأملاً للقديس أوغسطينوس حول قول العروس فى سفر النشيد (نش : ٥ : ٣) .

خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ غسلت رجلى فكيف أوسخها ؟

قال إن الإنسان قد اغتسل بالمعمودية وتطهر وارتفع عن الماديات ، غير أنه طالما يحيا فى الأرض ، فإنه يعود ويتصل بالمادة ، بهذا التراب ، فتسخ قدماه بهذا التراب الذى تطؤه قدماه .

لذلك فإن عذراء النشيد حينما دعاها الرب لخدمته ، خافت من هذه الإحتكاكات التى قد توجد فى مجال الخدمة ، والتى قد تشين الطهارة التى نالتها فى المعمودية وإذ خلعت هذا الثوب الذى هو الإنسان العتيق ، فكيف تعود إلى مشاكلة . وقد غسلت قدميها اللتين داستا التراب من قبل ، فكيف تعود بها إليه !؟

السيد المسيح يطمئن النفس ، التي تدخل في مشاكل الناس لكي تجذبهم إليه ، فيقول لها : حتى إن اتسخت قدماك ، سأعود أنا وأغسلهما كما غسلت أرجل التلاميذ وقلت لهم : ها أنتم طاهرون .

ملاحظة أخرى نقولها في غسل الأرجل :

إن غسل الأرجل ، تنوب عن غسل الإنسان كله .

والقديس بطرس الرسول لما طلب أن يغتسل كله ، قال له الرب « الذي قد اغتسل ، ليست له حاجة إلا إلى غسل رجليه ، بل هو طاهر كله » (يوحنا ١٣ : ١٠) .

والكاهن حينما يغسل يديه قبل القداس ، ويقول « أغسل يدي بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » ، ليس هو في حاجة إلى غسل جسده كله . إنما عضوفى الجسد ينوب عن الباقي .
كما نرشم عضواً واحداً فى الجسد ، فيعتبر الإنسان كله قد نال هذا الرشم ...

وغسيل الأرجل فى لقان الخميس الكبير ، يرمز إلى النقاوة التي يجب أن تسبق تناول . فاهتموا بهذا الأمر .

ويعجبني فى هذا المجال عبارة قالها صموئيل النبي ، حينما ذهب إلى بيت خم . ودعا إلى الذبيحة بقوله :

تقدسوا ، وتعالوا معى إلى الذبيحة (١ صم ١٦ : ٥) .

لأنه لا يليق أن يذهب أحد إلى الذبيحة وهو غير تائب ، إنما يتقدس

أولاً ، يتطهَّر بالتوبة ، ثم يتقدم إلى التناول .

والكنيسة تغسل أولاً أرجل الشعب ، وتقول لهم « أنتم الآن طاهرون » ثم تقدمهم للتناول .

ولكن ليس معنى هذا أن تأتي إلى الكنيسة يوم خميس العهد ، وتتقدم لغسل رجلك وأنت غير تائب . وإلا تسمع تلك العبارة المخيفة :

أنت (الآن) طاهرون ولكن ليس كلكم « (يوحنا ١٣ : ١٠) .
« ليس كلكم »؟! لا يارب ، نريد أن نكون كلنا طاهرين .
إنضح علينا بزوفاك فنطهر . واغسلنا فنبيض أكثر من الثلج .

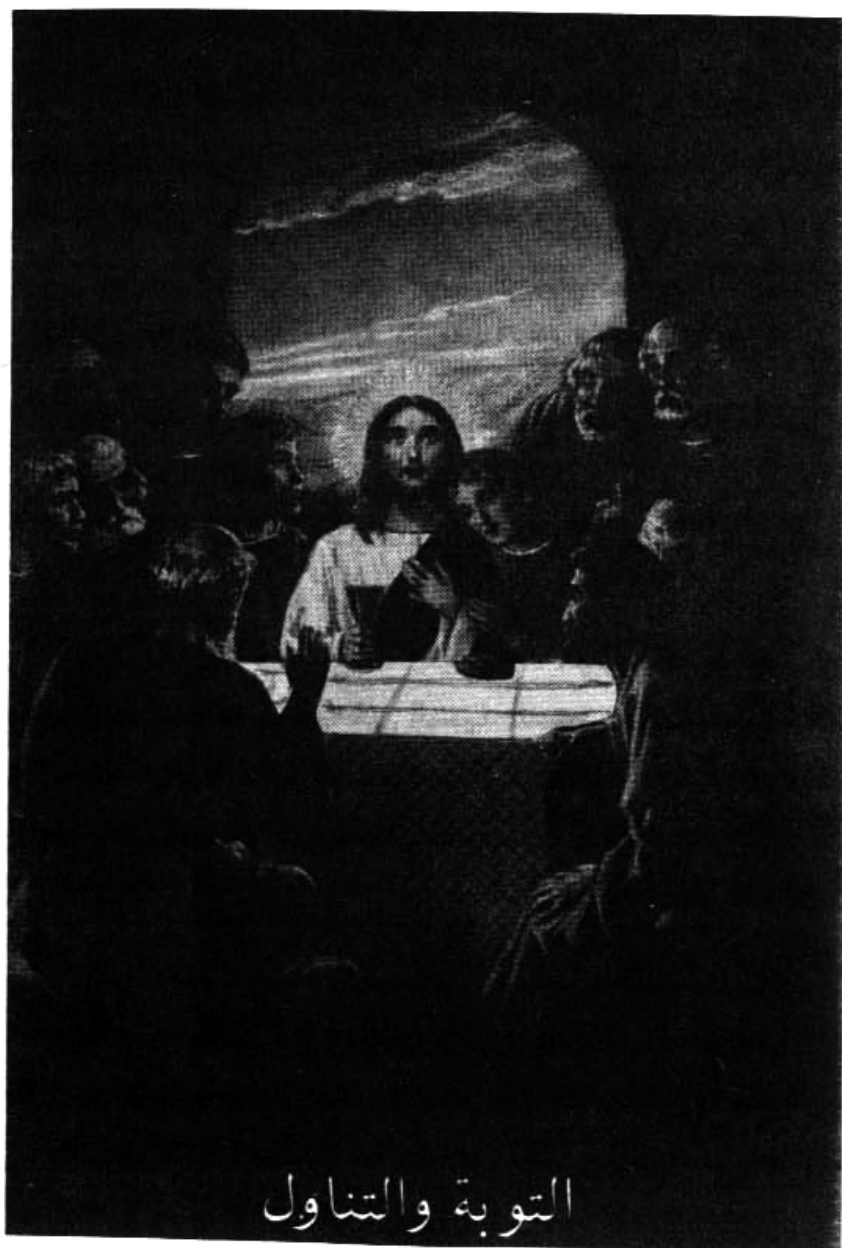
نعم ، هذا هو هدف اللقان . الطهارة قبل التناول .
« تقدسوا ، وتعالوا معي إلى الذبيحة » .

أرجو لكم تناولاً مقدساً ، باستحقاق ، من السرائر المقدسة في هذا اليوم العظيم ، وأن تكونوا كلكم طاهرين .

إن الطهارة التي يحملها رمز الماء ، توجد في الكنيسة في كل قداس ، وليس في قداس اللقان فقط .

وبعد كل قداس ، قبل أن يصرف الكاهن الشعب ، يرشهم بماء مقدس ، فنذكر قول الرب في سفر حزقيال النبي :

« وأرش عليكم ماء طاهراً ، فتطهرون » (حزقيال ٣٦ : ٢٥) .



التوبة والتناول

نشكر الله ، لأننا ونحن خارج المحلة حاملين عاره ، فتح لنا الرب طريقاً إلى قدس الأقداس ، إذ فتح لنا هيكله المقدس ، وأدخلنا إلى حيث مذبحه الطاهر ، وأعطانا جسده ودمه الأقدسين .

إنها بركة عظيمة أن يفكر فينا السيد الرب في أسبوع آلامه ، وهم بنا هكذا ، بعد أن منحنا الطهارة اللازمة ، في غسله لأرجلنا ...

وهكذا في يوم الاحتفال بالفصح القديم ، بكل ما يحمل من رموز ، قدم لنا الفصح الذى للعهد الجديد ...

الفصح الذى قال عنه القديس بولس « لأن فصحنا أيضاً ، المسيح ، قد ذبح لأجلنا ... » (١ كور ٥ : ٧) .

وهكذا إجتمع فصحان ، في يوم واحد ، وعلى مائدة واحدة . الرمز ، والرموز إليه معاً . وأعطى السيد المسيح هذا السر العظيم لتلاميذه القديسين ، وقال لهم « اصنعوا هذا لذكري » (لوقا ٢٢ : ١٩) . وها نحن نصنع هذا اليوم ، حسب وصيته المقدسة .

احتفل المسيح مع تلاميذه بالعيد ، وهو في عمق آلامه . فرح معهم بالعيد ، وعيد معهم ، وقال لهم « شهوة أشتيت أن آكل هذا الفصح معكم ، قبل أن أتألم » (لوقا ٢٢ : ١٥) .

وسبح معهم في تلك الليلة ، قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون (مر ١٤ : ٢٦) (مت ٢٦ : ٣٠) . نعم احتفل معهم بالعيد ، وفرح معهم « وهو عالم بكل ما يأتي عليه » (يوحنا ١٨ : ٤) .

حقاً ما أنبل القلب المتألم ، الذى يغنى مع القلوب الفرحه .

وفى فرحة عيد الفصح ، حدثهم عن جسده الذى يبذل عنهم ، ودمه الذى يسفك عنهم (لو ٢٢ : ١٩ ، ٢٠) .

وهذا أعطى للتلاميذ عيداً جديداً ، وعهداً جديداً .

وأعطاهم فكرة أن جسده سيبذل ، ودمه سيسفك ، عنهم وكثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٨) (مر ١٤ : ٢٤) . وقال إن هذا هو الدم الذى للعهد الجديد ...

لم يتركهم يفاجأون بهذا الأمر ، أن يروا دمه يسفك أمامهم ، إنما قال لهم قبل أن يكون ، حتى إذا كان يؤمنون (يو ١٣ : ١٩) .

عجيب أن يتكلم أحد عن سفك دمه ، بهذا الهدوء ...

وأن يتكلم عن سفك دمه بطريقة موضوعية هكذا ، وسط مظاهر

الفرح والتسبيح ، وهو يحتفل مع تلاميذه بالعيد ...

ولكنه المسيح المحب الحنون ، الذى يفكر فى خلاص البشرية ، وليس

فى ذاته هو أوفى آلامه .

نلاحظ هنا أنه قال دمي الذى يُسفك وليس الدس سُفك .

وكذلك قال جسدى الذى يُبذل وليس الذى بُذل ... ذلك لأن دمه

قد سفك يوم الجمعة ، وجسده قد بذل يوم الجمعة ، اليوم الذى تم فيه

الخلاص ...

إن حديثه يوم الخميس ، كان عن الخلاص الذى سيتم يوم الجمعة .

والفصح الذى احتفل به يوم الخميس ، كان رمزاً للفصح الحقيقى الذى
للعهد الجديد الذى يذبح عنا يوم الجمعة . وكأن الرب أراد أن يقول :

**إن هذا الفصح الذى تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدى الذى يبذل
عنكم غداً ، وإلى دمى الذى يسفك عنكم غداً .**

هذين اللذين اقدمها لكم على صورة الخبز والخمر . وعلى هذه الصورة
ستصنعون هذا السر لذكرى .

وعبارة « هذا اصنعه لذكرى » أمر يحمل استمرارية هذا السر مدى
الدهور « لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذه الكأس ، تخبرون
بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كو ١١ : ٢٦) . وعبارته « إلى أن يجيء »
تحمل معنى أن ممارسة هذا السر العظيم تستمر حتى مجيئه الثانى ، أى إلى
آخر الدهر .

قال إن هذا دمى الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا .

المقصود بالكثيرين أولئك الذين يؤمنون به ، وبفدائه العظيم وفاعلية
دمه لمغفرة الخطايا ، وكذلك يؤمنون بأسراره المقدسة ويمارسونها . ويشترط
أيضاً فيهم أن يكونوا تائبين ، لأن الرب نفسه قد قال « إن لم تتوبوا ،
فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٥) .

التوبة إذن لازمة لتناول المؤمنين ، كشرط هام للاستحقاق .

هذا الاستحقاق للتناول الذى شرحه القديس بولس الرسول ... فقال

فى الإصحاح ١١ من رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« إذن أى من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه ... » .
« لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق ، يأكل ويشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب » .
« من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى ، وكثيرون يرفدون »
(١ كور ١١ : ٢٧ - ٣٠) .

إذن الأمر خطير ، وعقوبته خطيرة :

من يتناول بدون استحقاق ، يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه ، غير مميز جسد الرب ، قد تصل عقوبته إلى ضربات في الجسد كالمرض والموت ... لذلك يقول الرسول :
« ولكن لئمتحن الإنسان نفسه » قبل التناول ...
« لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا » (١ كور ١١ : ٢٨ ، ٣١) .

فماذا تعنى كلمة الاستحقاق إذن ؟

إن تحدثنا عن الاستحقاق بمعنى مطلق ، فلن يوجد أحد مستحقًا ... !
فن جهة هذا الاستحقاق ، كان القديس العظيم الأنبا رويس - وهو صاحب معجزات - يخاف جداً حين التقدم للتناول من السرائر المقدسة . وكان يقول : إن الذى يتقدم للتناول ، ينبغي أن يكون داخله في نقاوة أحشاء العذراء القديسة التي حملت المسيح داخلها ... !

من أجل ذلك يقول الأب الكاهن في (صلاة الاستعداد) ...
(وهى صلاة يقونها سرّاً قبل القداس) : أيها الرب العارف قلب كل
أحد ... أنت يارب تعرف أنى غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه
الخدمة المقدسة التى لك . وليس لى وجه أن أقرب وأفتح فإى أمام مجدك
المقدس . بل ككثرة رأفاتك ، أغفر لى أنا الخاطىء ، وأمنحنى أن أجد
نعمة ورحمة فى هذه الساعة » ...

ومن أجل هذا يليق بكل إنسان ، أن يقول قبل تناول :

يارب ، ليس من أجل استحقاقى ، وإنما من أجل احتياجى .
ليس من أجل استحقاقى ، لكن من أجل علاجى .

معترفين كلنا بأننا غير مستحقين ، وكأننا نقول للرب : ليست لنا
الطهارة التى نتقدم بها إلى جسدك ودمك . فنحن لسنا طاهرين حتى
نتقدم للتناول ، إنما نحن نتقدم للتناول حتى نكون طاهرين .

نحن نتناول « طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » كما نقول فى
بداية الأواشى فى القداس الإلهى ...

إن الطهارة النسبية التى تناسبنا ، لكى نتقدم إلى تناول عملاً بقول
الرب « تقدسوا وتعالوا معى إلى الذبيحة » (١ صم ١٦ : ٥) ، تتركز فى
أبواب هامة منها :

الإيمان ، والتوبة ، والصلح مع الآخرين ، والطهارة الجسدية .

أما عن الإيمان ، فالمقصود به الإيمان المسيحى السليم ، بلا بدعة ولا

هرطقة . وكذلك الإيمان بهذا السر وفاعليته ، وبالشروط التي وضعها الله لإتمامه ، وحفظت بالتسليم الرسول .

أما عن التوبة ، فالمقصود بها على الأقل ترك الخطية والعزم الحقيقي على عدم الرجوع ، مع الإعراف بالخطية والندم عليها . وقد يتشكك البعض في موضوع التوبة . ونلاحظ أن البعض يمتنعون عن تناول ، بحجة أنهم مازالوا يخطئون بعد تناول ، إذن فهم لم يتوبوا ! وإذن فهم غير مستحقين ! ولهذا يكون عدم تناول أضمن لهؤلاء . وللرد على هؤلاء نقول :

إن تناول يعطى طهارة ، ولا يعطى عصمة ...

ولا يوجد أحد معصوماً ، مهما كان باراً وقديساً ، ومهما اعترف وتناول . هو لا يزال تحت الضعف إلى آخر يوم في حياته ، والضعف درجات تتفاوت من إنسان لآخر .

أما إكليل البر ، فإن الديان العادل يهبه للقديسين في ذلك اليوم (٢ تي ٤ : ٨) أى اليوم الأخير . حينئذ لا تكون خطية فيما بعد ...

تناول إذن . وفي كل تناول تأخذ قوة . حتى إن أخطأت ، يكون في قلبك إستحياء من جهة الخطية ، وندم عليها ، وإدانه لنفسك . أما حالة الإستهتار فإنها تمنع من تناول . وكذلك حالة اللامبالاه ، وحالة العبودية للخطية ، التي يتناول فيها الإنسان وهو مُصر على الرجوع للخطية . كلها صور تدل على عدم التوبة .

أما عن الصلح مع الآخرين ، فقد أشار إليه الرب بقوله :
إن قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً
عليك ، فاترك هناك قربانك أمام المذبح . واذهب أولاً إصطلح مع
أخيك ... » (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

إذن الصلح مع الناس لازم للتناول . لأنك لا يمكن أن تتقدم إلى
« ذبيحة الحب » وأنت خال من الحب . ولعلنا نذكر في هذا المجال أننا
نصلي صلاة الصلح قبل البدء في قداس القديسين . ونقول في تلك الصلاة
« إجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا ، أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ،
لكي ننال بغير انطراح في دينونة من موهبتك غير المائنة السمائية » .
إذن عدم المصالحة يطرح في دينونة ، إذا تناول الإنسان .

فما معنى المصالحة ؟ وهل يلزم الصلح مع جميع الناس .
المصالحة على الأقل تعني أن القلب خال من الخصام والكرامية . فإن
أمكن المصالحة بالفعل ، وإرجاع علاقات المودة يكون هذا هو الوضع
السلام والواجب . ولكننا في كل هذا ، نتذكر قول الرسول :
« إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس »
(رو ١٢ : ١٨) .

ذلك لأن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن مسالمتهم . فالسيد المسيح لم
يسأله الكتبة والفريسيون والصدوقيون والكهنة والناموسيون ورؤساء
الشعب ، أو غالبية هؤلاء . ولم يسأله أولئك الذين أسلموه حسداً . وما

كان المطلوب منه أن يذهب أولاً و يصطلح مع هؤلاء لتكون صلته صافية مع الآب .

وبولس الرسول ما كان ممكناً أن يترك قربانه قدام المذبح ، و يذهب أولاً فيصطلح مع إسكندر الحداد الذي فعل به شروراً كثيرة ، وقاوم كلمة الله جداً (٢٢ ق٤ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك قال الرسول في المصالحة ومسألة الآخرين « إن كان ممكناً » وقال « حسب طاقتكم » . ذلك لأن هناك حالات غير ممكنة ...

لا يحسب عليك إن كان عدم المصالحة راجعاً إلى الآخرين ، وليس إليك أنت . أو إن كان ذلك للفائدة الروحية ...

فقد تحاول أن تعيش في سلام مع البعض ، ولا تستطيع ، بسببهم ، وليس بسببك أنت . مثال ذلك الذين يحسدونك على تفوق فيك أو مواهب أعطهاها الله لك ، أو لشرقي قلوبهم ، كما حدث أن قايين حسد هابيل ، ورؤساء اليهود حسدوا المسيح . وقد قال المرتل في المزمور « أكثر من شعر رأسى ، الذين يبغضوننى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) . فالذين يبغضونك بلا سبب ، إن لم تستطع مصالحتهم فأنت معذور ، ولا يمنعك هذا من التناول . وكذلك الذين يضطهدونك (يوحنا ١٦ : ٢) .

كذلك هناك أناس تجتعد عنهم ، خوف العثرة ، حرصاً على روحياتك .

كأولئك الذين ذكروهم المزمور الأول «مجالس المستهزئين ، وطرق الخنطة» . و« كالمعاشرات الرديئة التي تفسد الأخلاق الجيدة» . لا يلزمك أن تترك قربانك ، وتذهب لتصطح مع هؤلاء ...

أما عن ترك قربانك قدام المذبح ، وذهابك أولاً للصلح :
فهذا لازم في حالة من تكون قد أخطأت أنت إليه .

ولذلك يقول الرب «إن تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك» ، هوله شيء عليك ، أى أنك أنت قد أخطأت إليه . هذا ينبغي أن تذهب وتصلحه وتطيب قلبه من جهتك قبل التناول ، وتنفذ ما ورد في وصية الرب . وحتى إن كان قد أخطأ هو إليك ، فاذهب وعاتبه (مت ١٨ : ١٥) لإرجاع المحبة بينكما .

وعلى أية الحالات ، أنت هنا واحد من اثنين : إما إنك أنت المعتدى ، أو معتدى عليك .

إن كنت معتدياً ، أترك قربانك ، وصالح أخاك ، وأصلح خطأك .

وإن كنت معتدياً عليك ، عاتب لتصلح ، أو على الأقل اغفر لأن هناك أصنافاً من الناس لا ينفع العتاب معهم ، وقد يأتي بنتائج عكسية ، أو إنهم في موقف لا يمكنك فيه الذهاب إليهم لكي تعاتبهم . هؤلاء على الأقل اغفر لهم ، ولا تستبق في قلبك حقداً عليهم أو عداوة لهم ...

وتذكروا قول الكتاب «إغفروا يُغفر لكم» (لو ٦ : ٣٧) .

هناك طلبية واحدة في الصلاة الربانية ، لم يتركها الرب تمر بدون شرح ، وهى «إغفر لنا كما نغفر نحن أيضاً» فقال « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ٦ : ١٤ ، ١٥) .

هذا من جهة المصالحة ، أما من جهة الإستعداد الجسدى ...
فيلزم أولاً الإستعداد بالصوم ، ولا يعنى من ذلك إلا المرضى ومن فى حكمهم ، الذين لهم حالة خاصة لا يمكن معها الصوم .
والكنيسة تفترض أن يكون الإنسان صائماً قبل تناول مدة لا تقل عن تسع ساعات ، بحيث لا يأكل شيئاً بعد منتصف الليل . وإن حدث استثناء ما فى هذه القاعدة ، لسبب ملزم ، يكون ذلك عن طريق أب الإعتراف ، أو بسماع من رئاسة الكهنوت ...

أما عن الطهارة الجسدية ، فيلزم الإمتناع عن المعاشرات الجسدية ، والبعد عن سيل الجسد . وهكذا يكون الإنسان طاهراً بالجسد ، كما يكون طاهراً بالروح . والوصايا كثيرة فى الكتاب بخصوص هذا الموضوع ، ليس مجالها الآن .

ولا نريد أن يمتنع أحد عن تناول بحجة عدم الإستعداد أو عدم الإستحقاق ، إلا لو كان ذلك رغماً عنه .

فلنحاول أن نستعد بالتوبة . والتوبة فى أيدينا . التوبة عمل يحدث داخل القلب ، فهو بإمكاننا إذن وليس خارجاً عنا . تستطيع الآن أن

تستجيب لصوت الله داخلك ، ولا تقس قلبك ، وترجع إلى الله ، مستفيداً من كل التأثيرات الروحية التي تقدمها لنا روحيات أسبوع الآلام . الأمر في يدك ، والكتاب يقول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ١٥) .

فليراجع كل إنسان نفسه ، ويرجع إلى الله ، ويشترك في بهجة هذا اليوم المقدس ، الذي تعتبره الكنيسة عيداً ، لكي يتناول في قداس الخميس الكبير أو خميس العهد ، الذي أخذت كل قداسات السنة أصلها الأول منه .

وبكل نقاوة ممكنة ، فلنحاول أن نتقدم للتناول ...
لأنه ليس الجميع يستفيدون فائدة واحدة من التناول ...
إنما حسب استعداد القلب من الداخل ، هكذا تكون الفائدة .

إن الرسل كلهم ، الذين تناولوا يوم الخميس الكبير ، لم يخرجوا جميعهم بفائدة روحية واحدة . فأكثرهم حباً للرب ، أعنى القديس يوحنا الحبيب ، هو الوحيد الذي بعد التناول استطاع أن يتبع المسيح حتى الصليب ، ويسمع كلمة منه ، ويأخذ بركة ...

وبطرس المتحمس ، المندفع في حبه ، تبع المسيح جزءاً من الطريق ، ولكنه لم يكمل ، ثم أنكسر الرب وندم ... مع أن القديس بطرس كان قد تناول من الرب كما تناول يوحنا تماماً ...

أما باقي التلاميذ ، فإنهم تناولوا أيضاً في نفس الوقت ، ولكنهم هربوا

ساعة القبض على الرب ، ولم يسيروا معه ولا مرحلة من الطريق ، إنما استسلموا لضعفهم .

بذّرنا هذا بالبذار التي وقعت على أرض جيدة ...
وأعطت كلها ثمراً . البذار واحدة ، والزراع واحد . ولكن البعض في إثماره أعطى ثلاثين ، والبعض ستين والبعض مائة .

ليتكم تجهزون قلوبكم ، لكي تعطى هي أيضاً مائة ...
وتذكروا باستمرار البركات العظيمة الناتجة عن تناول .
سواء التي وردت منها في الكتاب المقدس ، أو التي وردت في صلوات
القداس الإلهي . فهوذا الرب يقول في الإنجيل :

« أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا
الخبز يحيا إلى الأبد ... من يأكل جسدى و يشرب دمى ، فله حياة أبدية ،
وأنا أقيمه في اليوم الأخير ... من يأكل جسدى و يشرب دمى ، يثبت فى
وأنا فيه » (يوحنا : ٦ : ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦) .

وفي القداس الإلهي « يُعطى عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة
أبدية لكل من يتناول منه » ، ونقول أيضاً « نتناول من قدساتك طهارة
لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

لماذا إذن نقصّر في التقدم إلى هذه الطهارة ، وهذا الخلاص
والغفران ، والثبات في الرب ، والحياة الأبدية .

السيد المسيح ، وهو ذاهب إلى الآلام ، منح الكنيسة نعمة تناول ،
وما ينتج عن تناول من بركات عديدة

وفي نفس الوقت أقام بهذا السر عهداً بيننا وبينه .

نعم ، لقد دخلنا بالتناول في عهد مع الرب ، أنه كلما أكلنا وشربنا
من هذه السرائر المقدسة ، أن نبشر بموته ، ونعترف بقيامته ، وأن نذكره إلى
أن يجيء .

نبشر بموته ، أى بموته عنا ، هذا الموت الذى نلنا به الخلاص والفداء ،
وأصبحنا مقدسين بدمه ، وقد طهرنا هذا الدم من كل خطية (١ يوا : ٧)
لأنه قال : خذوا اشربوا هذا هودمى الذى للعهد الجديد ، الذى يسفك
عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مر ١٤ : ٢٦) . وفي هذه الآية وضح الرب
أمرين :

١ - أن دمه هو لعهد جديد ، لذلك نقول (خميس العهد) .

٢ - أنه لمغفرة الخطايا ، أى للخلاص .

إنه حقاً أمر مفرح ، يليق بنا أن نبشر به ، أى نعلن لكل أحد عن هذا
الخلاص الذى نلناه .

فهل نحن حقاً أمناء على هذا العهد ...

هل نعتبر كل يوم نتناول فيه يوم عيد ، قائلين : هذا هو اليوم الذى
صنعه الرب ، فلنتفرح ولنبتهج فيه ، كما نعتبر يوم الخميس الكبير هذا
عيداً ...

وهل ندرک تماماً ، كيف طهرنا الرب بهذا الدم الذى يسفك مُنثرة
الخطايا ، وصيرنا به قديسين ، كما فى القداس :

القدسات للقديسين ...

لعل عبارة « القديسين » هذه ، تبكتنا من الداخل ، من جهة عدم
إستحقاقنا ، وأيضاً تدفعنا إلى قدام لكى نسلک كما يليق بأناس قد قدسهم
الرب بدمه وطهرهم من كل خطية ...
إذن ما أجل أن نبشربوته ، الذى وهبنا كل هذا .

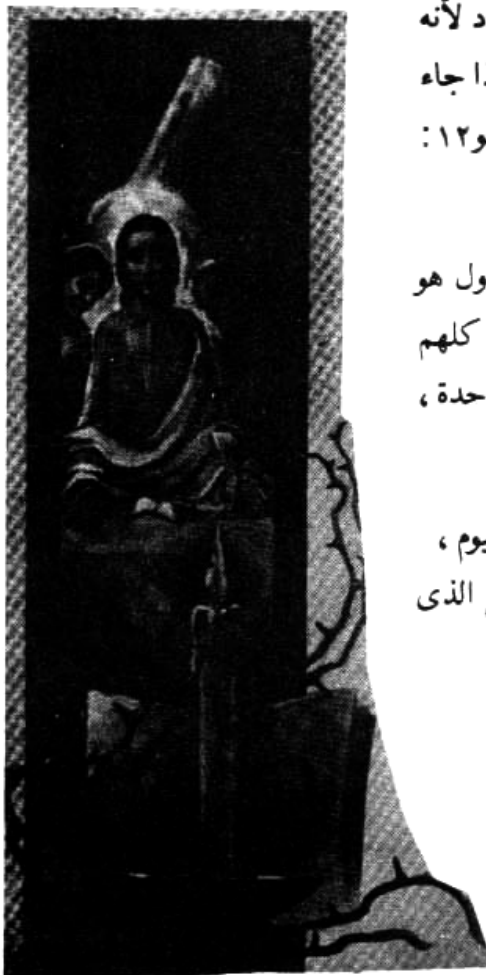
عبارة أخرى دخلنا فيها فى عهد مع الرب هى :
أن نذكر الرب ، إلى أن يجيء ...

ما معنى كلمة نذكره ؟ هل معناها أن يكون الرب فى أذهاننا
باستمرار ، كما يقول المثل « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن
يمنى فلا أتزعزع » أم معناها قول المثل « محبوب هو اسمك يارب ، فهو
طول النهار تلاوتى » أم معناها أن نذكر الرب فى كل ما فعله من أجلنا :
فى إخلائه ذاته ، وتجسده ، وتعليمه ، ومحبه ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته ،
وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب ... بكل ما تحمل هذه
الذكريات من معان ومن روحيات .

أم المقصود أن نذكر كل هذا معاً ، ونظل نذكره إلى أن يجيء .

وفى عبارة « إلى أن يجيء » ، إيمان بالمجيء الثانى للرب .

بما يحمل هذا الإيمان من إنتظار لمجيء الرب ، واستعداد لهذا المجيء ،

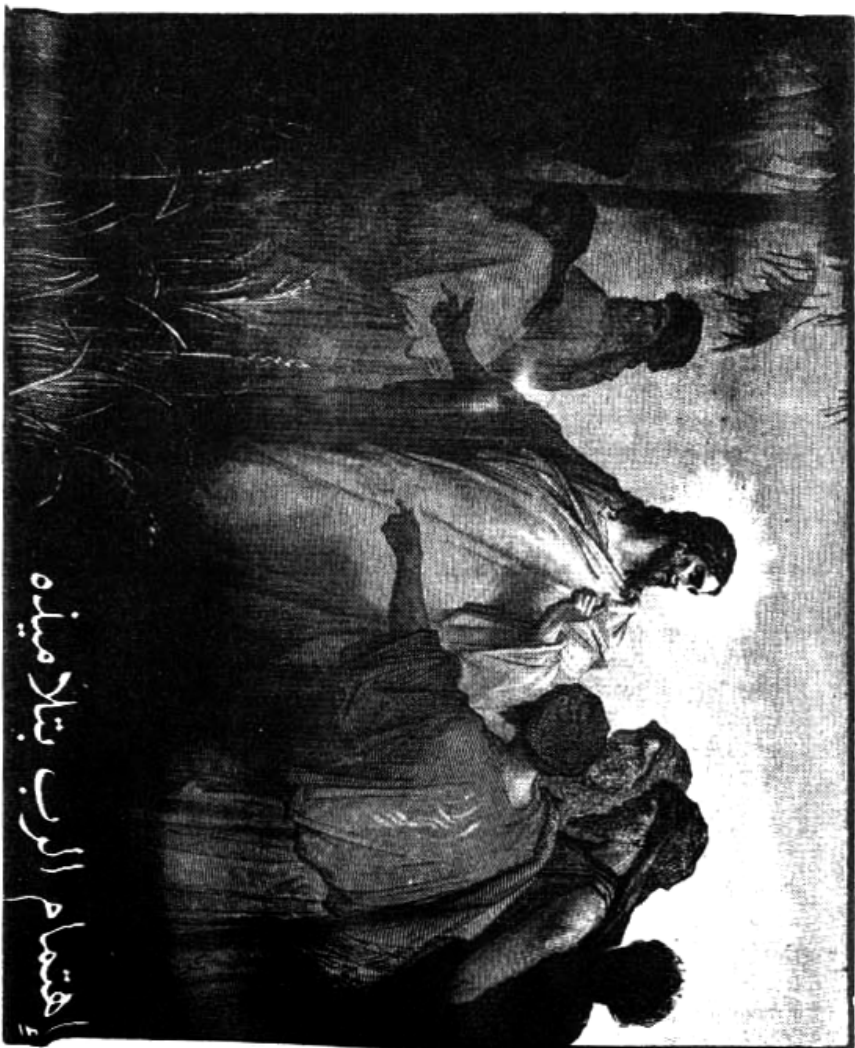


وسهر دائم في هذا الإستعداد لأنه
« طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء
سيدهم يجدهم ساهرين » (لوقا ١٢ :
٣٧) .

ولا ننس أيضاً أن التناول هو
شركة للمؤمنين ... يجمعهم كلهم
بإيمان واحد ، حول مائدة واحدة ،
وكهنوت واحد .

فليعطنا الرب بركة هذا اليوم ،
وبركة هذا السر العظيم الذي
لخلاصنا .

آمين



اهتمام الرب بتلاميذه

أهم ما تميزت به علاقة السيد المسيح ربنا بتلاميذه ، هوتلك المحبة الكبيرة جداً ، التي بها نزل من السماء وأخلى ذاته ...
ولكن محبة السيد الرب ، ظهرت في أعرق صورة لها ، في الأسبوع الأخير ، أسبوع الآلام ...

تكفى هذه العبارة التي يقول فيها الإنجيل المقدس :
« إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يوحنا : ١٣ : ١) .

عبارة « حتى المنتهى » هذه ، يفوض فيها المتأمل ما شاء ، ولا يمكن أن يدرك أعماقها ...
كان الرب يعرف أن حادثة الصلب هذه ، يمكن أن تتعب تلاميذه ، إذ يجدون معلمهم العظيم ، المبرق في معجزاته ، محتقراً ويسمر بالمسامير ...
وأخيراً يموت وسط ضروب الاستهزاء ...

لذلك نرى الرب ، خلال هذا الأسبوع ، وقد أهتم جداً ...
كيف يعد تلاميذه - نفسياً وروحياً - لمواجهة موضوع صلبه .
كان هذا الموضوع يشغله جداً . فلم تشغله ذاته هو : لا عملية القبض عليه ... ولا محاكمته وما فيها من شهود زور ومن تهم ملفقة ، ولا الاهانات الكثيرة التي تصيبه من ضرب ولطم وشتائم ، مع عبارات التحدى والإستفزاز ... ولا نقله من مكان لآخر ليواجه حنان وقيافا ، وبيلاطس

وهيرودس ... ولم يشغله ما سيتحملة من آلام وعذابات في الشوك والجلد
والمسامير والصليب

إنما كان عمق قلبه في غيره . وكان إنشغاله بأمرين :
كيف يخلص العالم ، وكيف يحفظ تلاميذه في هذه التجربة .
كان يريد أن يحفظهم في تلك الساعات الرهيبة - عليهم لا عليه -
لا تهتز الكنيسة كلها إن اهتز إيمانهم به .
كان يريد أن يثبت إيمان هؤلاء التلاميذ ، سواء في أحداث ما قبيل
الصليب ، وأثنائه ، وبعد الصليب .

معروف أنه بعد الصليب والقيامة ، ظهر لهم لتثبيتهم .
ظهر لمريم المجدلية ، ولبطرس ، ولتلميذى عمواس ، وللنسوة
القديسات ، وللأحد عشر ، وظهر لأكثر من خمسمائة أخ ، كما ظهر فيما بعد
لشاؤل الطرسوسى . وقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ، يشبههم
ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ...
كل هذا بعد القيامة . ولكن قبل الصليب كيف ثبتهم ؟

١ - قبل الصليب بستة أيام ، أقام لعازر من الموت (يو ١١) .
وذلك بعد أربعة أيام من موت لعازر ، بعد أن قيل عنه إنه أنتن .
وكان لهذه المعجزة العظيمة دوى كبير ، فأمن به كثيرون وأعطى بها
لتلاميذه فكرة عملية عن القيامة من الموت ، حتى بعد فقد كل أمل ... إنها
معجزة تسند إيمانهم ، من جهة قدرته ، ومن جهة قيامته إن رأوه يموت ...

٢ - وقبل إقامة لعازر ، وهب البصر للمولود أعمى (يو ٩) .

وهي معجزة واضحة تدل على لاهوته ، إذ فيها القدرة على الخلق ، وقد خلق عينين من طين . وأحدثت هذه المعجزة أيضاً دويماً ، حتى أن ذلك الأعمى نفسه قال بعد إبصاره « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى » (يو : ٩٠ : ٣٢) . وإنتهت المعجزة بأن هذا الأعمى آمن أن السيد المسيح هو إبن الله وسجد له (يو : ٣٨) .

أراد السيد بهاتين المعجزتين ، أن يسند إيمان التلاميذ أيضاً .

فبالإضافة إلى عمل المحبة من جهة المولود أعمى ، ومن جهة لعازر وأسرته ، كانت لهاتين المعجزتين نتائج أخرى : بعضها في نفس الوقت إذ آمن كثيرون . وبعضها ظل مختزناً إلى وقت الصلب ، لتقوية إيمان من يضعفون ...

وماذا أيضاً ؟ ماذا فعله أيضاً لتقوية إيمان تلاميذه ؟

٣ - أظهر لهم سلطانه أثناء تطهيره الهيكل .

وذلك في يوم أحد الشعانين ، اليوم التالي لمعجزة إقامته لعازر من الموت . دخل أورشليم كملك ، والشعب كله يهتف له ، ويستقبله بأغصان الزيتون وسعف النخل .

وفي تلك المناسبة قام بتطهير الهيكل في قوة وسلطان ، وهو يقول عنه « بيت أبى » ، ويوبخ الكهنة ورؤساءهم بقوله « جعلتموه مغارة لصووس » ... ولم يستطع أحد أن يقاومه ... كان أقوى من كل مقاومة .

كان سيد الموقف . وكل عبارة سمعها رد عليها بقوة وبحجة لا تحتمل
الجدل .

وكل هذا رفع معنويات التلاميذ . وماذا أيضاً ؟

٤ - بنفس القوة وبخ جميع القيادات اليهودية .

وبخ الكهنة بمثل الكرامين الأردباء . وقال لهم « ملكوت الله ينزع
منكم ، ويعطى لأمة تصنع ثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وأبكم الصدوقيين في موضوع قيامة الأموات (مت ٢٢ : ٣٤) .
وكذلك الناموسيين أيضاً . ووبخ الكتبة والفريسيين في عنف ، قائلاً
« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المرأؤون » (مت ٢٣) .

وكان أقوى من الكل ، حتى قال عنه متى البشير : « فلم يستطع أحد
أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » (مت ٢٢ :
٤٦) .

وكل ذلك كان يقوى معنويات التلاميذ ، ويشعرهم بقوة معلمهم ،
ويعدهم للتجربة المقبلة ... وماذا أيضاً ؟

٥ - لعن شجرة التين غير المثمرة ، فبيست في الحال .

وكانت هذه الشجرة ، ترمز إلى الرياء ، لوجود مظهر حياة ، ورق
أخضر ، ولكن لا ثمر . وبلعنيتها لعن الرياء . ودل الرب بهذا على لاهوته
وسلطانه على الطبيعة . فبكلمة منه يبست الشجرة ...

« فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة في
الحال » (مت ٢١ : ٢٠) . فأعطاهم الرب درساً في الإيمان ، وقال لهم

« الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ، ولا تشكون ، فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلت أيضاً لهذا الجبل إنتقل وإنطرح في البحر ، فيكون » ...
 « إن كان لكم إيمان ولا تشكون » عبارة ليّتها تثبت معهم وقت صلب معلمهم وموته ودفنه ... وماذا أيضاً ؟

٦ - غسل الرب أرجلهم ، رمزاً للنقاوة .

وبعد أن غسل أرجلهم ، قال لهم : أنتم الآن طاهرون ... (يوحنا ١٣ : ١٠) ، لعلهم بهذه الطهارة يشبتون ، بالقوة التي أخذوها من غسل الرب لأرجلهم ... ماذا أيضاً ؟

٧ - أعطاهم أيضاً سر الإفخارستيا ...

منحهم جسده ودمه الأقدس ، لكي يمنحهم قوة روحية بهذا السر العظيم ، إذ سبق أن قال لهم « من يأكل جسدي و يشرب دمي ، يشبت فيّ وأنا فيه » (يوحنا ٦ : ٥٦) . إذن فقد كان هذا سرّاً للثبات في الرب ، ينفع التلاميذ في ساعة التجربة . إذ كان الرب يطعم طبيعتهم الضعيفة ، بطبيعة أقوى وأسمى منها ...

وفي نفس الوقت كان يمهّد أفكارهم لقبول الخبر « هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ... و... دمي الذي يسفك عنكم » (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ٢٠) « الذي يسفك من أجل كثيرين » (مرقس ١٤ : ٢٤) « الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٨) .

عبارة « سفك دمه » هذه ، كانت تمهيداً ، حتى لا يفاجأوا بما حدث في نفس الليلة وفي ثاني يوم .

٨ - وهكذا كاشفهم بالحقيقة حتى لا يفاجأوا ...

قال لهم أكثر من مرة « أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، و يقتل ، وفي اليوم الثالث يقوم » (مت ١٦ : ٢١) وأيضاً قال لهم « ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، وإبن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ، فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه و يصلبوه . وفي اليوم الثالث يقوم » (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

وهكذا كان يربط في حديثه الصلب والقيامة ، لتعزيتهم ...
وقبل الفصح بيومين ، كرر عليهم نفس الخبر فقال « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وإبن الإنسان يُسلم ليُصلب » (مت ٢٦ : ٢) . وفيما هم يتناولون الفصح معه ، قال لهم « واحد منكم سيسلمني » .

٩ - وبعد الفصح والعشاء الرباني ، جلس معهم جلسة طويلة .
هذه الجلسة سجلها القديس يوحنا في أربعة أصحاحات من إنجيله (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، كلمهم فيها بصراحة كاملة ، وعزاهم بكلام كثير ، فيه حديث عن القيامة ، وعن الروح القدس وعمله فيهم ، وفيه نصائح لهم . ونرجو أن نعرض لهذا الحديث بالتفصيل .

١٠ - وظل إهتمامه بهم ، حتى أثناء القبض عليه .
فعندما جاء الجنند ليقبضوا عليه ، قال لهم « إني أنا هو . فإن كنتم تطلبونني ، دعوا هؤلاء يذهبون ... ليتم القول الذي قاله « إن الذين

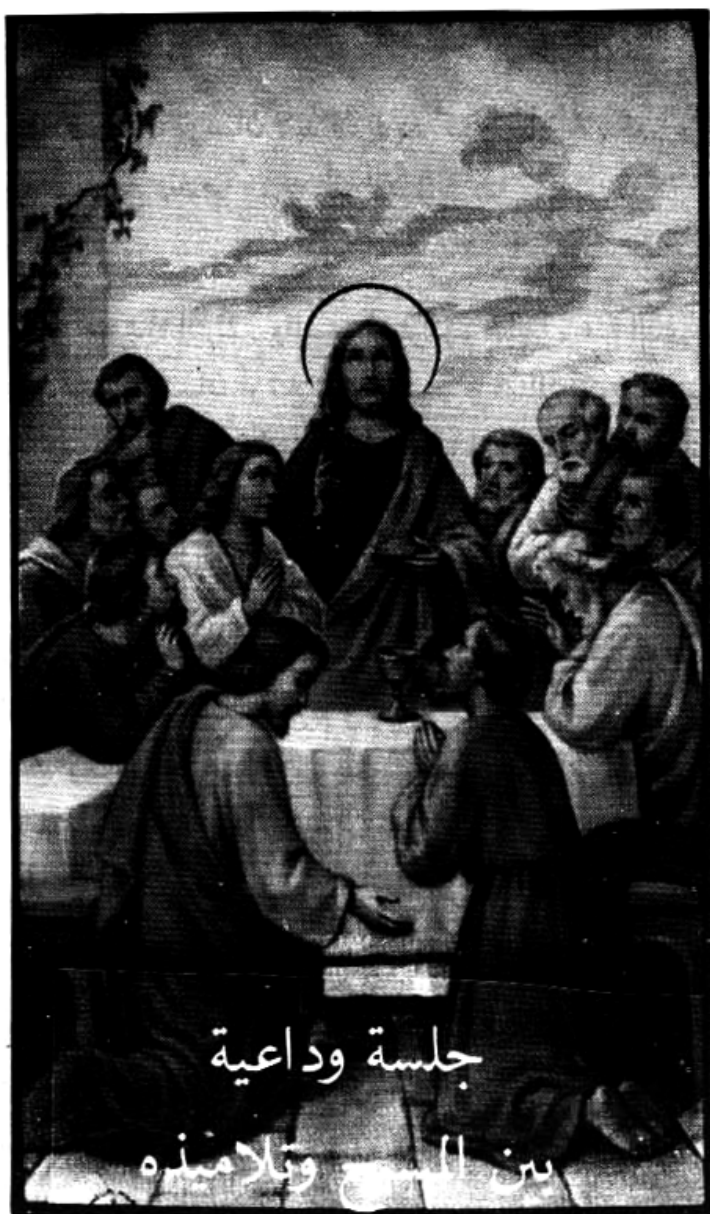
أعطيتني ، لم أهلك منهم أحداً» (يو ١٨ : ٨ ، ٩) .
وهكذا كان مشفقاً على تلاميذه ساعة القبض عليه ، مهتماً بهم أكثر
من اهتمامه بنفسه . يهيمه أن يكونوا طلقاء ، وأن يفلتوا من الجند . أما هو
فليسلم نفسه و يقبض عليه ...

١١ - حتى وهو على الصليب أيضاً .

إهتم بخاصته كذلك ، وهو في عمق آلامه ...
فلم يترك أمه العذراء وحيدة ، إنما عهد بها إلى تلميذه الحبيب يوحنا .
« ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (يو ١٩ : ٢٧) . وكان
في ذلك بركة لهذا التلميذ ، إذ اهتم به الرب ، ووهبه أمأ روحية ، هي
أقدس أم وأحن أم ، في هذا العالم كله ...

ومن إهتمام المسيح بتلاميذه حديثه الوداعي لهم .
١٢ - وأيضاً صلاته الطويلة من أجلهم .
فلتناول هذين الموضوعين بتفصيل أكثر ...





جلسة وداعية

بين المسيح وتلاميذه

في الحقيقة إن الإنسان لابد أن يتردد كثيراً قبل أن يتكلم عن جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه . فنسأل أولاً :

أحقاً ودع المسيح تلاميذه ؟

الوداع معناه الترك . والمسيح لم يتركهم مطلقاً ، هذا الذي قال لهم « حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي ، فهناك أكون في وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . وهو الذي قال لهم أيضاً قبيل الصعود « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . ولكنه على أية الحالات كان تركاً بالجسد ، وإلى حين .

ومع ذلك كان الأمر صعباً عليهم . وكان الرب يعرف هذا ، لذلك جلس معهم يخفف عليهم ويعزبهم . كان يعرف أن هذا الأمر صعب عليهم . و يظهر هذا من قوله لهم « لأنني قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم » (يو ١٦ : ٦) . فما هو هذا الأمر الذي قاله لهم فحزنوا ؟ إنه قوله لهم « أما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني » .

كان لابد أن يواجههم الرب بالواقع الذي سيحدث ... ثم بعد ذلك يعالج تأثير هذا على مشاعرهم . أما عن هذا الواقع ، فقال لهم « يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً

بعد . وكما قلت لليهود : « حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا »
(يوحنا : ١٣ : ٢٣)

وكان لابد أن يرد على سؤالهم الذى يقولونه :

« إلى أين تذهب ؟ » (يوحنا : ١٣ : ٣٦) .

« لسنا نعلم أين تذهب ؟ » (يوحنا : ١٤ : ٥)

كان لابد أن يجيب المسيح ، وبصراحة . فبماذا أجاب ؟

قال : إني ذاهب إلى الآب (يوحنا : ١٦ : ١٦) .

وبعد قليل لا تبصرونى (يوحنا : ١٦ : ١٧) . وماذا أيضاً ؟

إنكم ستبكون ، والعالم يفرح (يوحنا : ١٦ : ٢٠)

وكان لابد أن يقول لهم حقيقة أخرى ، بالإضافة إلى ذهابه وهى :

إن كانوا قد اضطهدونى ، فسيضطهدونكم » (يوحنا : ١٥ : ٢٠) .

ولتعزيتهم أعطاهم الرب رجاء فى كل شىء .

فمن جهة ذهابه ، سيرونه مرة أخرى ...

إن عبارة « لا تبصرونى » أو « لا ترونى » هى نصف الحقيقة ،

النصف المؤلم . فما هو النصف الآخر المعزى ؟

قال لهم الرب « بعد قليل لا تبصرونى . ثم بعد قليل أيضاً ترونى »

(يوحنا : ١٦ : ١٧) . « بعد قليل لا يرانى العالم . وأما أنتم فترونى » (يوحنا : ١٤ : ١٩) .

معنى أن العالم لا يراك ، إنك ستموت . فكيف نراك نحن إذن ؟

يجيب المسيح عن هذا الفكر . بقوله « إني أنا حى » « فى ذلك اليوم

تعلمون إنى أنا فى أبى ، وأبى فىى « الذى يحبنى ... أظهر له ذاقى »
(يو ١٤ : ١٩-٢١) .

أعطاهم إذن فكرة عن قيامته ، وأنهم سيرونه .

كان قد قال لهم إن ابن الإنسان سيصلب ، وفى اليوم الثالث يقوم
(مت ١٦ : ٢١) (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) . وهو اليوم يؤكد لهم هذه الحقيقة
فى عبارات كلها حب :

« لا أترككم يتامى . إنى آتى إليكم » (يو ١٤ : ١٨) .

نصف الحقيقة « إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح » . فاهو
النصف الآخر المضىء إذن ؟ أنه « ستحزنون ، ولكن حزنكم سيتحول
إلى فرح ... سأراكم أيضاً ، فتنفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم »
(يو ١٦ : ٢٠ ، ٢٢) .

عجيب هو الرب ، إنه فى وداعة ، يتحدث عن الفرح .

كان يؤله جداً حزن تلاميذه بسبب فراقه لهم . إنه يعرف تماماً مقدار
محبتهم له . أما عن محبته هو ، فيكفى قول الكتاب عنها « إذ كان قد أحب
خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ٢) . وقلب الرب
حساس جداً من جهة راحة هؤلاء الذين يحبهم ويحبونه . لذلك يقول لهم
هنا : لا أترككم يتامى .

عبارة « يتامى » هنا ، تشعرهم بأنهم أولاده .

وهو فى هذه الجلسة يستخدم أيضاً تعبير « يا أولادى »

« يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً بعد » (يو ١٣ : ٣٣) .
 أنتم أولادى ، وأنا أعلم أنكم تتيتمون من بعدى ، ولكنى لا أترككم
 يتامى ، ولا أترككم حزانى ، سأتى إليكم . سأراكم فترفح قلوبكم . لا
 أترككم مطلقاً للحزن ، فأنا لا أحتمل حزنكم ...
 أريد فى هذا الوداع الصعب ، أن أفرح قلوبكم ، وأقول لكم إن
 حزنكم هو إلى حين ، وحين بسيط ، فبعد قليل سترونى .

أنتم لست فقط أولادى ، بل أحبائى أيضاً .
 « أنتم أحبائى ، إن فعلتم ما أوصيتكم به . لا أعود أسمىكم عبيداً ...
 لكنى قد سميتكم أحباء » (يو ١٥ : ١٤ ، ١٥) . أنا سأضع نفسى عنكم
 « ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه »
 (يو ١٥ : ١٣) . « كما أحببى الآب أحببتكم أنا . إثبتوا فى محبتي »
 (لوقا ١٥ : ٩) .

جميل أن تكون جلسة الوداع ، هى حديث حب كهذا .
 ويضيف الرب فى تعزيتة لهم تشبيهاً جميلاً ، يشعرهم أنه لا
 انفصال بينه وبينهم ، وهو علاقة الكرمه بالأغصان .
 فيقول لهم « أنا هو الكرمه ، وأنتم الأغصان » (يو ١٥ : ٥) . إننا
 معاً ، « أنتم فى ، وأنا فيكم » علاقتى بكم ، كعلاقة الرأس بالجسد . لستم
 غرباء عنى . إثبتوا فى . وأنا فيكم ، كما يثبت الغصن فى الكرمه ، حينئذ
 لا يكون وداع بنى وبينكم ، لأنه لا يكون فراق أبداً .

ما أجمله تشبيهه ، كله حب وعاطفة وعزاء ، في ساعة كهذه .
مبارك أنت يارب في كل تعزياتك الجميلة ...

يضيف أيضاً بأن ذهابه هو للفائدة وللفرح .

فيقول لتلاميذه « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع . سمعتم أنى قلت لكم إني ماض ، ثم آتى إليكم . لو كنتم تحبونني ، لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب » (يوحنا : ١٤ ، ٢٧ ، ٢٨) .

نعم ، لأنه بهذا تنتهى عبارة « أخلى ذاته » (في ٢ : ٦ ، ٧) . هناك سأرجع إلى ما قبل إخلاء الذات ، وذلك أعظم ... لذلك إن كنتم تحبونني ، ستفرحون إني أمضى .

ثم أن ذهابي نافع لكم ، لأعد لكم مكاناً .

« لا تضطرب قلوبكم ... في بيت أبى منازل كثيرة ... أنا أمضى لأعد لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتى أيضاً وأخذكم إلئى ، حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يوحنا : ١٤ - ١ : ٣) . نعم ، سنكون معاً باستمرار .

ولكن وجودنا الدائم معاً ، سيكون هناك وليس هنا .

لا تضطرب قلوبكم ، فهذا أفضل . أما هنا ، فإنى أترك لكم سلامى « سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطيكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) إنه سلام من نوع آخر ، سلام روحى ثابت ، ليس كالسلام الذى يعطيه العالم ... لكن كيف يكون لنا سلام يارب ، وأنت بعيد عنا ؟

هنا الفائدة الثالثة من ذهابي . أرسل لكم الروح القدس :

وقد أفاض الرب في حديثه عن هذه النقطة بالذات :

فقال لهم إن الروح القدس هذا ، هو الروح المعزى ، الذى سيكون سبب عزاء لهم . وقد كرر عبارة (المعزى) أكثر من مرة . فقال لهم : « لأنه إن لم أنطلق ، لا يأتىكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله لكم » (يوحنا : ١٦ : ٧) ، لذلك :

« أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق » (يوحنا : ١٦ : ٧) .

« وأما المعزى الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٦) « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً » (يوحنا : ١٥ : ٢٦) « ومتى جاء ذلك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يوحنا : ١٦ : ١٣) .

وأضاف الرب فى تعزيته لتلاميذه ، بأن هذا الروح المعزى سيمكث معهم إلى الأبد ، وسيكون فيهم (يوحنا : ١٦ ، ١٧) .

هذا يذكرنا أيضاً بما قاله لهم قبيل الصعود « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع : ١ : ٨) ... كان الحديث عن الروح القدس تعزية كبيرة للتلاميذ ...

نلاحظ فى وداع المسيح لتلاميذه إنه كان صريحاً معهم

أراد أن يعزبهم على أساس الحق والواقع ، ويقوى قلوبهم ولكن بدون إخفاء الحقائق ، كما كان صريحاً معهم من جهة أخطائهم ومن جهة

المتاعب التي ستصادفهم ، بعد صلبه .

كان هذا نافعاً لهم من جهة الإيمان ، واتفاء المفاجأة .

قال لهم « أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون »
(يوحنا : ١٣ : ١٩) (يوحنا : ١٤ : ٢٩) « كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة ،
تذكروني أني قلت لكم » (يوحنا : ١٦ : ٤) .

كان صريحاً معهم في ذكر ما سيصدر عنهم من أخطاء .

قال لهم إن الشيطان مزعج أن يغربلكم ، وإنكم كلكم تشكون في
في هذه الليلة ، وقال تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى
خاصته وتتركوني وحدي . وقال لبطرس ستنكرني ثلاث مرات . وحتى
يهوذا قدم له الرب تحذيرات . فقال واحد منكم سيسلمني ، وحدد ذلك
بقوله الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، وقال له موبخاً « ما أنت تعمله
فاعمله بأكثر سرعة (يوحنا : ١٣ : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧) .

وكان صريحاً معهم في ذكر المتاعب التي سيتعرضون لها .

فقال لهم « إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم » « إن كان
العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم » « لأنكم لستم من العالم ...
لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا : ١٥ : ١٨ - ٢٠) بل قال لهم أكثر من هذا
« سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه
يقدم خدمة لله » (يوحنا : ١٦ : ٢) . حقاً إن الصراحة في هذه الأمور أفضل .
لذلك قال لهم في هذا المجال « قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا .

إن السيد المسيح واضح في هذا الأمر منذ البداية ، منذ حديثه عن الباب الضيق وعن حمل الصليب . ولكنه أيضاً يخلط الحديث عن الضيقة بالعزاء ، فيقول لهم « في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يوحنا : ١٦ : ٢٣) . ومادام قوتي معكم ستغلبونه ...

نلاحظ في هذه الجلسة الوداعية ، إنه أعطاهم وعوداً كثيرة : بعضها من جهة ظهوره لهم مثل « أنا آتى إليكم » « بعد قليل ترونني » « أعد لكم مكاناً ... آتى وأخذكم إليّ ... » ... وعود أخرى من جهة إرساله الروح القدس إليهم ، وعمل هذا الروح فيهم ومكوته معهم إلى الأبد ... وأيضاً وعود أخرى من جهة طلباتهم ، فقال لهم « كل ما طلبتم من الآب بإسمى يعطيكم » « اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يوحنا : ١٦ : ٢٣ ، ٢٤) « مهما سألتكم بإسمى ، فذلك أفعله ... إن سألتكم شيئاً بإسمى فإني أفعله » (يوحنا : ١٤ ، ١٣ : ١٤) .

ولعل من الوعود المعزية جداً ، والعجيبة أيضاً ، قوله لهم : « الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بي ، فالأعمال التي أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يوحنا : ١٤ : ١٢) .

وفي جلسته الوداعية معهم ، زودهم بوصايا . فن جهة علاقتهم ببعضهم البعض ، أعطاهم وصية واحدة لا غير وهي « هذه هي وصيتي ، أن تحبوا بعضكم بعضاً » . وإلى أي حد يارب يكون هذا الحب ؟ فيكمل وصيته قائلاً : « ... أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما

أحببتكم» (يو ١٥ : ١٢) . ومن يستطيع هذا ، أن نحب بنفس الحب الذى أحببتنا به ، حتى بذلت ذاتك عنا ، الحب الذى قيل فيه «... أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣ : ١) .

ولكن الرب يكرر نفس الوصية ، فى نفس الجلسة الوداعية : «وصية جديدة أنا أعطيتكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً» (يو ١٣ : ٣٤) و يعتبر الرب أن هذه المحبة التى مثل محبته ، علامة التلمذة له ، فيقول « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب ، بعضكم لبعض » (يو ١٣ : ٣٥) .

إنه مستوى سامى جداً من الحب ، يطلبه الرب منا .

نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا هو . وكيف أحبنا هو؟ يعمق الرب مفهومنا لهذا الحب ، فيقول « كما أحبني الآب ، كذلك أحببتكم أنا . أثبتوا فى محبتى » (يو ١٥ : ٩) . أصارحك يارب أن الأمر قد إزداد صعوبة فى الفهم ، أو صعوبة فى التنفيذ . وهنا نعرض وصية المحبة كما أعطيت لنا ، فى ثلاث نقاط :

أ - الآب أحب الإبن (وهى محبة غير محدودة بلا شك) .

ب - والإبن أحبنا ، بنفس المحبة (غير المحدودة) التى أحبه بها الآب .

ج - والمطلوب أن نحب بعضنا بعضاً بهذا الحب .

ها مطانية يارب أمامك . أعترف أننا لم نصل ولن نصل مطلقاً إلى مستوى هذا الحب . حقاً إنها وصية جديدة .

جديدة في مفهومها ، وجديدة في مستواها ، وجديدة في هذا التشبيه الذي شبهت به ... إننا مهما أحببنا ، ومهما بذلنا ، فلن نصل إلى محبة الابن لنا ، أو إلى محبة الآب للإبن .

لهذا نتضع أمامك ، ونطلب أن تسكب فينا هذا الحب من عندك ، من الروح القدس ، لأن الطاقة البشرية وحدها لا تستطيعه ... نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا ! وكيف ذلك ؟

لقد أحب المسيح تلاميذه ، في محبتهم له ، وفي ضعفاتهم . كما أحبهم وهم يحبونه ، أحبهم أيضاً في خوفهم وفي ضعفهم وفي هروهم . قال لبطرس ستتكربي ثلاث مرات . ولم يقل ذلك في إنفعال ، ولا في غضب ، إنما في حب وإشفاق ، وهو يقول معها « طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك » . إنه يحبنا في سقطاتنا وضعفاتنا ، لكي يخلصنا من هذه السقطات والضعفات ... « فيما نحن خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (رو ٥ : ٨) .

وفي البستان ، حينما تركوه وحده وناموا ، قابل أيضاً ضعفهم بإشفاق ، ونسب الضعف إلى الجسد فقط ، وقال عنهم « الروح نشيط ، أما الجسد فضعيف » (مت ٢٦ : ٤١) « ناموا الآن واستريحوا » .

وسياتى الوقت الذي أعطى فيه نشاطاً للروح والجسد معاً ... أنتم الآن ضعفاء . هذا حق . لذلك لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعلى » (لوقا ٢٤ : ٤٩) . وهذه القوة ستنالونها حين يحل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) .

أنا لا أحتقر الضعف ، إنما في حبي أمنح القوة .

هذه محبتي لكم . فإذا ستكون محبتكم لي ؟

سأضرب لكم مثلاً لهذه المحبة « أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان »

(يوه ١٥ : ٥) . إذن نحبك يارب ، كما يحب الغصن كرمته ، إذ لا حياة له

بدون الثبات في الكرمة . إن انفصل عنها يجف ويموت .

لذلك قال لهم الرب في جلسته الداعية « اثبتوا في محبتي » « الذي

يثبت فيّ وأنا فيه ، هذا يأتي ثمر كثير » (يوه ١٥ : ٥) .

وماذا عن الذي لا يثبت ؟ قال الرب لهم « إن كان أحد لا يثبت

فيّ ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه ويطرحونه في النار

فيحترق » ولذلك « اثبتوا فيّ ، وأنا فيكم » « اثبتوا في محبتي » (يوه ١٥ :

٤ ، ٥) . ولعل التلاميذ يسألون :

كيف نستطيع يارب أن نحبك ، ونثبت في محبتك .

يجيبهم الرب في هذه الجلسة الداعية « أن حفظتم وصاياي تثبتون في

محبتي ، كما إني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته » (يوه ١٥ : ١٠) .

إذن فالمحبة ليست مجرد عاطفة ، ولا يليق بنا أن نحب بالكلام

واللسان ... » (١ يوه ٣ : ١٨) .

فحجبتنا للرب ، تظهر في حفظنا لوصاياها ...

وهنا ذكر المسيح تلاميذه بوصاياها ، بكل ما سمعوه منه قبل ، لكي

يعملوا به . ولكن ماذا يحدث إن نسوا ما قاله لهم ؟ لقد طمأنهم من جهة

هذا أيضاً . وقال لهم : سأرسل لكم الروح القدس المعزى . وذلك « يذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٦) .

لقد إهتم المسيح بتلاميذه ، الذين أئتمنهم على نشر الإنجيل . بذل كل الجهد لكى يشبههم ، لأن فى ثباتهم ثباتاً للكنيسة كلها ، وثباتاً للإيمان الذى سيجاهد هؤلاء من أجله . ومادام الأمر للإيمان ، لذلك نرى أن المسيح فى هذه الجلسة الوداعية ، قد تكلم معهم فى أمور إيمانية .

فى جلسته معهم ، شمل حديثه أيضاً عقيدة الثالوث القدوس . فحدثهم عن الآب والروح القدس وعن ذاته ... ذكرنا ما قاله لهم عن الروح القدس ، وعمله فيهم ، وحلوله عليهم ، ومكوته معهم ، وإرشاده لهم ...

كذلك ما أكثر الحديث الذى قاله فى تلك الجلسة عن الآب « أنا ماض إلى أبى » « من عند الآب خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك العالم وأرجع إلى الآب » (يوحنا : ١٦ : ٢٨) .

« المعزى الذى سيرسله الآب بإسمى » « الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى » (يوحنا : ١٥ : ٢٦) (يوحنا : ١٤ : ٢٦) . هاتان آيتان ، كل منهما واضحة فى حديثها عن الثالوث القدوس .

أما عن علاقة الآب بالإبن ، فقال لهم :

« أنا في الآب والآب فيّ » « الذي رأى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٩-١١) . وكان قد قال لهم من قبل « أنا والآب واحد » (يو ١٠ : ٣٠) .

وقد كرر هذه المعلومات ، في صلاته لأجلهم .
فقال للآب « احفظهم في إسمك الذين أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما نحن » (يو ١٧ : ١١) . فأعلن هنا أنه والآب واحد ... وكرر هذا المعنى أيضاً في صلاته فقال « ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد . أنا فيهم ، وأنت فيّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد » (يو ١٧ : ٢٢ ، ٢٣) . وقال أيضاً « ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فيّ ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يو ١٧ : ٢١) .
إنه يقدم لهم العقيدة في كلامه ، وفي صلاته .

ثم يحدثهم عن الآب الذي يحبهم ...
فيقول « الذي يحبني ، يحبه أبي ، وأظهر له ذاتي » (يو ١٤ : ٢١) .
« إن أحبني أحد ، يحفظ كلامي ، ويحبه أبي ، وإليه تأتي ، وعنده نصنع منزلاً » (يو ١٤ : ٢٣) ... إنه يريد أن يربطهم بالآب ، فيحدثهم عن الآب ومحبه لهم . وهكذا يقول « تأتي ساعة ، حين لا أكلمكم بأمثال ، بل أخبركم عن الآب علانية ... لأن الآب نفسه يحبكم ، لأنكم قد أحببتموني ، وآمنتم أني من عند الآب خرجت » (يو ١٦ : ٢٥ ، ٢٧) .

وفي صلاته عنهم ، يريدهم أن يعرفوا الآب .

فيقول « أيها الآب ... مجد إبنك ... هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يوحنا ١٧ : ٣-١) .

لقد عرف التلاميذ المسيح . ولكنه يريد أن يعرفهم بالآب أيضاً ، ويعرفهم أن كل شيء هو من الآب . وقد نجح في كل هذا ، إذ يقول في صلاته لله الآب :

« أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتني من العالم ... والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك » (يوحنا ١٧ : ٦ ، ٧) .

المسيح وهو ماضٍ إلى الآب ، يربط تلاميذه بالآب : وهكذا يقول : « أيها الآب البار ، إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك . وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني . وعرفتهم إسمك ، وسأعرفهم ، لكي يكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم .

وهذا الحب ، طلب من الآب أن يحفظهم . وهكذا قال في صلاته « لست أنا بعد في العالم . وأما هؤلاء فهم في العالم ... أيها الآب القدوس ، أحفظهم في إسمك ... لست أسألك أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير . »
« حين كنت أنا معهم في العالم ، كنت أحفظهم ... أما الآن فإنني آتي إليك » ... أحفظهم في إسمك (يوحنا ١٧ : ١١-١٥) .

والمسيح يصل أيضاً أن يكون معهم باستمرار :

فيقول « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذى أعطيتنى يكونون معى ، حيث أكون أنا » (يو ١٧ : ٢٤) .

إنها عبارة مؤثرة ، تدل على مدى الحب العميق الذى فى قلب السيد المسيح من نحو تلاميذه ...

حب المسيح لتلاميذه ، وحفظه لهم ، كان أمراً لازماً .
لأنه إن كان الشيطان قد بدأ يعمل ضدهم ، وأزعج أن يغر بلهم ، فلا بد من الناحية الأخرى أن يعمل المسيح لحفظهم ... يقوهم ويعزهم ، ويعدهم للتجربة المقبلة ، بحبه وحفظه ، وبكلامه معهم ، وصلاته لأجلهم ...

وهذا الحب الذى فى قلبه نحوهم ، يشجعنا نحن .
يذكرنا بأننا لسنا وحدنا ، بل أنه معنا كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر ، ويذكرنا بتعزياته الإلهية ، وأعداده لأولاده قبل الضيقة ، كما يذكرنا بحبة الآب وحفظه لنا .

ويذكرنا أيضاً أن صلاة المسيح قد شملتنا كذلك بقوله :
« لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم » (يو ١٧ : ٢٠) .

مبارك أنت يارب ، فى كل محبتك وحفظك .
نسألك أن تكون معنا ، كما كنت مع تلاميذك ورسلك القديسين ، بنفس الحب ، ونفس الحفظ ، ونفس الرعاية .

حقاً إن صلاتك قد حفظت التلاميذ . ومع أنهم ضعفوا بعض الشيء ، إلا أن الإيمان بقي ثابتاً فيهم ، لم يتزعزع ... وهذا الإيمان الذي فيهم وصل إلينا ، بكرازتهم ...

واستطاع هؤلاء هؤلاء يارب أن « يأتوا بشمر كثير » كما أوصيتهم (أع ١٥ : ٨) .

كل ذلك كان بركة الآمك المقدسة ، وبمحبتك لتلاميذك وتثبيتك لهم في يوم الخميس الكبير الذي غسلت فيه أرجلهم ، طهرتهم ، ومنحتهم جسداً ودمك ، وجلست إليهم تعزيمهم وتقوى إيمانهم .

لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .



كتابان آخران عن أسبوع الآلام
للبابا شنودة الثالث

- هما : ١ - كلمات المسيح على الصليب
٢ - تسبحة البصخة « لك القوة والمجد »
يمكن أن يكونا معك أيضاً في أسبوع الآلام

الكتاب القادم :

اليقظة الروحية

يصدر في بداية الخمسين المقدسة ١٩٨٢ .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٢٨٦٦

فهد الكتاب

أيها القاريء العزيز...
إن تأملنا معاً في أحداث
يوم الخميس الكبير، تواجهنا
ثلاثة أمور هي :

١ - غسل الرب لأرجل
تلاميذه

٢ - تأسيسه لسر
الإفخارستيا

٣ - اهتمامه بتلاميذه،
وخطابه الوداعي لهم، وصلاته
لأجلهم.

وعن تلك الأمور الثلاثة،
أو عن معانيها الروحية، يريد
هذا الكتاب أن يتحدث
إليك ...

تراه ماذا سيقول؟

شنوده الثالث